الثقافة الحسينية

محمود الموسوي

بِسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الثقافة الحسينية

محمود الموسوي

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

المقدّمة

بكل ثقة واطمئنان نقول إن الحسين (عليه السلام) ثقافة ، بل ثقافة ربانية ، متصلة بالله عز وجل ، ولهذا يعتبر الخوض في الثقافة الحسينية من أهم الأمور وأولاها ، لأنها حسينية أولاً ، ولأنها ثقافة ثانياً ، فلماذا يحتل الوعي بالثقافة الحسينية بهذا الحجم من الأهمية؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نقول : عندما يكون أمر ما ثقافة ، فهذا يعني أنه يحمل المكونات التي تتكوّن منها الثقافة بمفهومها العام ، والتي تعني فيما تعني أنها منهاج سلوك ، وطريقة تفكير ، وآداب معيشة ، وهي تقوم على أساس مجموعة من المبادئ والقيم ، تقوم بدورها برسم المسار العام لكل بعد من أبعاد الحياة ، ولا شك أن من لا يمتلك ثقافة ما تؤسس لحركته في الحياة ، فهو بعيد عن فطرة الإنسان ، إذ لا يمكن تصوّر قوم بلا منهاج وبلا مبادئ معينة ، إلا في الأقوام التي تعيش حالة الفوضى أو الخارجين عن حدود

الـزمن الإنسـاني ، إذن فالثقافـة هـي التـي تعطـي الإنسـان البصيرة ليمشي بها في الناس والحياة ، وأي أمر يحمل صفة الثقافة فهو يعطي ما تعطي ، ويتكون مما تتكونّ.

وعنـدما نقـول الثقافـة الحسـينية فهـي منتسـبة للإمـام الحسين بن علي (ع) ، وهذه النسبة تضيف إليها لوناً خاصاً ومفهوماً متميزاً ، لأنها تلقي الضوء على حياة الإمام الحسين (ع) وحركتـه ومسيرته التـي هـي عبـارة عـن أسـس للمسـير ومنهاج للتفكير ، ولـم يـأتِ هذا اعتباطـاً ، بـل جـاء مـن أسـاس وجـوب الاقتـداء بالنسـبة للإنسـان المسـلم بالإمـام المعصـوم ، والإمـام الحسين هو ثالـث الأئمـة ، بـل و تعتبـر حركـة الإمـام الحسـين (ع) ، للإنسـان غيـر المسـلم ، منظومـة مـن القـيم ، وتجربة فذّة قل نظيرها ، تساهم في تغذية حركة الإنسان بما هو إنسـان ،بمـا يحمـل مـن صـفة الحريـة .. وقـد ألمـح الإمـام الحسـين (ع) نفسـه ، لهـذا المعنـى ، عنـدما قـال للنـاس الـذين يواجهونـه ، لكـي يسـتجيبوا إليـه : (**إن لم يكـن لكـم ديـن و كنـتم لا تخـافون المعـاد فكونـوا أحـرارا في دنيـاكم**)[1] ،

[1] / بحارا لأنوار ،٥٠ ، ٤٥ ، بقية الباب ٣٧

فالإمام الحسين (ع) يمثل ثقافة لكل الناس ، بغض النظر عن انتماءاتهم وأديانهم، والثقافة الحسينية هي ثقافة عالمية بكل معنى الكلمة، وقد أثبتت تجارب كثيرة صدق هذا القول.

وعليه ، فإننا بحاجة ماسّة ودائمة لإثارة تراث المسيرة الحسينية ، بالدراسات والبحوث في جميع جوانبها ، ليست العسكرية فحسب ، بل والجوانب الاجتماعية والثقافية ، والسياسية ، فما نراه أن كثرة التعاطي والتناول لهذه المسيرة المباركة في واقعنا ، هو تعاطي مع الحرب ، لا مع الثورة ، وتناول الجزئيات دون الكليات ، ولذلك نرى أن البعض يقع في أخطاء ، منها على سبيل المثال مقولة (أن ثورة الإمام الحسين كانت ثورة دفاعية لا ثورة ابتدائية) ، والخطأ الحاصل هو أن الثورة الحسينية هي ثورة ابتدائية ، لأنها مبدئية ، وقد عبر الإمام الحسين (ع) بكلمات كثيرة عن نقض معاوية للعهد الذي كان مع الإمام الحسن (ع) ، وعن أن الإمام الحسين (ع) لا يبايع مثل يزيد شارب الخمر وقاتل النفس المحترمة.

ويمكن تصحيح المقولة بأن (حرب الإمام الحسين وقتاله ، كانت حرب دفاعية لا ابتدائية) ، وليست الثورة .

كما أن البعض قد يقع في أخطاء ناتجة عن عدم دراسة الكليات وربط الجزئيات والوقائع بها ، لكي يتعرّف على تفسيرها الواقعي ، ولهذا تكوّنت لدى البعض إشكالات على رواية أحداث واقعة كربلاء ، نرى أنها تتلاشى عندما نربطها بكليات الدين ، فيبقى الحدث على صفائه ونقائه.

خلافاً للعادة ، فإننا في هذا الكتاب أردنا أن نتعاطى مع المسيرة الحسينية ثقافياً ، والإلماح إلى بعض المعطيات الثقافية ، وتسليط الضوء على دور الثقافة ومكانتها في هذه المسيرة المباركة ، لكي نستكشف ولو ومضة نور من تلك الثقافة التي تحمل المؤهلات التي تؤهلها لأن تغذي البشرية بالبصائر والحكمة في الحياة ، و لتخطّي حالة التيه التي وقع فيها المفكرون الذين لم يتخذوا ثقافة السماء منهاجاً يحتذى ولا طريقاً يسلك ، فنأمل أن نكون قد وضعنا يدنا على شيء من المطلب ، ونسأل الله التوفيق لما هو أرحب من ذلك.

محمود الموسوي/ بني جمرة ، البحرين

الفصل الأول

مدخل نظري..

المعرفة الولائية الحسينية

من المشتات إلى المنهجة

تمهيد وتوطئة

إن معرفة الولاية هو جوهر المعارف الإسلامية وأسماها شأناً ، فهي المعرفة التي تستوعب في خطاباتها أحوال المعصومين ومقاماتهم العلية ، وترجع هذه الأهمية إلى أنها التعبير الصادق لحركة التوحيد في حياة المجتمعات ، والامتداد الإلهي للمقاصد الربانية في خلق الكون والحياة ، التي نبصر تجليّاتها في معاني الرحمة الإلهية على العباد ، إذ بعث الله تعالى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، وبعده أصطفى الأئمة (عليهم السلام) رحمة لعباده ، ليترجموا مقاصد الحق جل شأنه ، في خلقه ، ولينطقوا ويصدعوا بآيات الحق في أفئدة الناس .

و في بيان مكانة الولاية لآل البيت (عليهم السلام) ، والمعرفة الولائية جاء في الحديث: (**عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ عَلَى الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الْحَجِّ وَ**

الصَّوْمِ وَ الوَلايَةِ قَالَ زُرارَةُ فَقلت وَ أيُّ شيْءٍ مِنْ ذلِكَ أفضَلُ فقَالَ الوَلايَةُ أفضَلُ لِأنَّها مِفْتاحهُنَّ وَ الوالي هُوَ الدَّليلُ عليهِنَّ)[٢] ، وقد نادت الروايات وتوالت التأكيدات على الولاية ، حتى جاء في الحديث (**عَنْ أبي جعفرٍ (ع) قَالَ بُنِيَ الأِسْلامُ على خَمْسٍ على الصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ وَ الصَّوْمِ وَ الحجِّ وَ الوَلايَةِ وَ لَمْ يُنادَ بِشَيْءٍ كما نُودِيَ بِالوَلايَةِ**)[٣] .

وقد ورد عن الرسول (ص) : قوله : (**إني مخلف فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا ، كتاب الله و عترتي أهل بيتي**).

والمعرفة الحسينية تندرج ضمن معرفة الولاية ، بل هي الصبغة العامة لمفرداتها ومقاصدها وحركتها ، وهي المحرك الأبرز لوعي الإنسان وتشكيل سلوكه الولائي ، وقد احتلّت مساحة واسعة من صفحات كتب الرواة وأخبار المحدّثين ، نقلاً وتواتراً عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وآل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، تعبيراً وتكويناً للأهمية

---

[2] / أصول الكافي ، للكليني ، ج١ ، ١٨٥ ، ص٥٨ .
[3] / الكافي، ١٨ ، ٢ ، ص : ١٨

التي تحتلها المعرفة الحسينية بجميع مميزاتها وخصائصها الولائية التي لا يوجد كثير منها في معارف ولائية أخرى .

فقد اهتمّت العناية الربّانية بالمعرفة الحسينية حيث قلّبتها في مناهج ومسارات الساجدين من الأولين والآخرين من الملائكة والأنبياء والرسل ، وكذلك لدى رسولنا الكريم والأئمة الطاهرين وجميع عباد الله الصالحين ، وإلى ما بعد الممات في الحياة الأخرى و أبديتها.

انطلاقاً من أهمية المعرفة الولائية بوجه عام ، وديمومة المعرفة الحسينية وتأججها في قلوب المؤمنين بوجه خاص ، والذي أكد على ديمومتها واستمرارها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) فقد جاء في الحديث (**عنْ جعفرِ بنِ محمّدٍ [ع] قالَ نظرَ النّبيُّ [ص] إلى الحسينِ بنِ عليٍّ [ع] وهوَ مقبلٌ فأجلسهُ في حجرِهِ و قالَ إنّ لِقتلِ الحسينِ حرارةً في قلوبِ المؤمنينَ لا تبردُ أبدا**)[4] ، فانطلاقاً من هذه المسئولية العظيمة ، توجّهنا بالدراسة والتحليل والمعالجة والتقويم للمعرفة

[4] / مستدرك الوسائل ، ٤٩ ، ٣١٨ ، ١٠

الحسينية المختمرة في وعي المجتمع الإسلامي ، لتكون في أفضل حلة وأقوم طريقة.

توصيف وتقييم

بالملاحظة العلمية والمراقبة الدقيقة للاطروحات في المعرفة الحسينية الولائية ، والحوارات والتساؤلات والقناعات التي تزدحم بها ساحات العطاء الثقافي في المواسم الولائية لإحياء أمر أهل البيت (ع) في العالم الإسلامي ، وبملاحظة الأفكار المتداولة بين أفهام الناس في المجتمع الإسلامي حول المسألة الحسينية ، نستكشف واقعاً يعاني من التفكك والشتات وعدم التناسق في الوحدة الفكرية والسياق الثقافي لمجمل المعرفة الحسينية في ذهنية عامة الناس، بمعنى إن معرفة المجتمع ـ وأقصد به الشريحة الأوسع من الناس ـ تتركّز حول بعض القضايا دون قضايا أخرى ، وكذا يصعب الربط والتنسيق بين ما يؤمن به الفرد من أفكار متعددة حول القضية الحسينية، فتراه يحكّم قوّة العقل حيناً، ويتمسّك بتراث الأجداد دون وعي حيناً آخر، وقد يأخذ تحقيقات العلماء

والمحققين منهجاً في تبني بعض الأفكار، ويضرب بتلك التحقيقات عرض الحائط في وقائع وأفكار أخرى، بل قد تكون المعرفة مستوعبة لمجمل المعارف الحسينية ، إلا أن هنالك هوّة واسعة وحجاباً متيناً يمنع من التأثير السلوكي لتلك المعارف خارج نطاق العقل ووعيه.

ويصل الأمر من الضعف في الوعي الاجتماعي إلى أن الفرد يؤمن ويقتنع بمسألة ما ، ويرفض مسألة أخرى قد تطابقها في المناط وتتحد معها في المقصد ، إلا أن بعض التأثيرات الخارجية فكرية أو نفسية ، قد يكون لها الدور في ذلك الرفض وعدم القبول.

هذا ما نجده ماثلاً أمامنا عند ملاحظتنا للوعي الاجتماعي في المسألة الحسينية ، واستخلاصاً من هذه الحركة التفكيرية ، نوصّف وعي المجتمع بأنه مصاب بالشتات والتيه في المسألة الولائية بوجه عام ، وفي عمقها الحسيني بوجه خاص.

هواجس ومخاوف

هذه الحالة الفكرية التي تختلج في وعي المجتمع وتصبغ رؤاه ومواقفه، لهي حالة تفرز من النفس الهواجس ، وتخلق في قلوب الحريصين على المعارف الإلهية والدينية الخوف والوجل على مستقبل المجتمع الإسلامي، إذ أن هذه الحالة لا تخلّف انطباعاً حسناً عن ما سيئول إليه وعي المجتمع، والوعي هو الذي يضع المجتمعات في رتبهم في حركة الحضارات وتنافسها على الريادة ، فأهمية الوعي من أهمية الأهداف التي تسعى في اتجاهها أي حضارة ، والحضارة الإسلامية إنما تسعى لإصلاح الإنسان وإصلاح حياته من أجل رضا الخالق عز وجل ، وعن طريق تحمّله لأعباء الرسالة واتخاذها آلية للإصلاح ، لضمانتها من الانحراف والتجاوز ، لأنها ذات مصدر إلهي قويم ، يقول تعالى : {**إنا عرَضْنا الأمانة على السَّماواتِ والأرْضِ والجبالِ**

فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا...}[5]. فالمهمة بيد الإنسان وللإنسان ، ولكنه يحتاج إلى الوعي لتخطّي حالة الظلم والجهل.

ويزداد الخوف خوفاً عند إدراكنا للخطط التي يرمي إليها أعداء الدين ممن يعملون جاهدين بتخطيط ودراسة لإضعاف الدين ويتربصون به الدوائر ، لقتله في نفوس الناس وتوهينه في وعيهم ، لكي لا يؤتي أكله كل حين.

مآل هذا الشتات الثقافي إذا أهمل من علماء الدين والمفكرين الإسلاميين ، إلى ذوبان المجتمع الإسلامي في التيارات الإعلامية الغربية والانصياع لها في ما تروّج له من أفكار وآراء ، تجهد نفسها نحو سلب وشاح الصبغة الدينية عن مجتمعنا وانتزاع سور الاستقلالية الفكرية عن وعيه ، تحقيقاً لإرادة الهيمنة ، ذلك الوقود الذي تتكئ عليه المنظومة الغربية..

فالجهود الهائلة تبذل من أجل خلخلة المجتمعات لزعزعة وعيهم الديني ، وفصم هويتهم الثقافية ، فكما دلّت

[5] / سورة الأحزاب، آية ٧٢

الدراسات أن أكبر صناعة لدى الولايات المتحدة منفردة لديها ليست الطائرات أو الحواسب أو السيارات ، بل هي الترفيه والإعلام الثقافي ، والسلع الثقافية ، ذات السمة الغربية ، حيث بلغ قيمة عائد السلع الثقافية إلى ٢٠٠ بليون دولارا ، وهي مستمرة بالنمو ،كما و أن الترفيه في جانب الأفلام الهوليودية فقط بلغت ٣٠ بليون دولاراً على نطاق العالم عام ١٩٩٧م ، وهي في نمو سريع ومستمر [٦]..

فهم يعمدون لاختراق ثقافي يزلزل الوعي الديني الذي يميّز حركة المجتمع المسلم عن غيره ، يميّزه بارتباطه الإلهي وانتمائه الرباني لله تعالى ،البعد الذي تمثّله الثقافة الولائية في عمقها وتترجمه إلى واقع عملي صادق.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : {**يا أيُّها الذينَ آمنُوا اتّقوا اللهَ وكونُوا معَ الصّادِقِين**}[٧] . **و عنْ بُريْدِ بْنِ معاوِيةَ العِجْليِّ قالَ سألْت أبا جعْفرٍ [ع] عنْ قوْلِ اللهِ عزّ وجلّ اتّقوا اللهَ وكونوا معَ الصّادِقِين . قالَ: إيّانا عنى**[٨].. فهنالك ارتباط بين تقوى

---

[6] / راجع تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٩م، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
[7] / سورة التوبة ، آية ١١٩
[8] / الكافي ٢٠٨ ١ باب ما فرض الله عز و جل و رسوله ص م

الله تعالى وكوننا منتمين ثقافياً مع أهل البيت (ع) الصادقين ، الذين لهم الولاية الحقّة من عند الله تعالى ، بل جاء في الحديث عن الصادقين شمول أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بهم - أي بالصادقين - ، (**عَنْ أَبِي الحَسَنِ الرِّضَا [ع] قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ قَالَ الصَّادِقُونَ هُمُ الأَئِمَّةُ وَ الصِّدِّيقُونَ بِطَاعَتِهِمْ**)[9] .

فيتعيّن علينا الحرص التامّ على ثقافتنا الولائية وتنقيحها وتنقيتها من الشوائب الدعائية ، و الأغراض الدنيوية الزائلة ، لأنها السبيل القويم إلى الله تعالى ، فقد جاء (**عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ [ع] أَنَّهُ قَالَ أَبَى اللهُ أَنْ يُجْرِيَ الأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَباً وَ جَعَلَ لِكُلِّ سَبَبٍ شَرْحاً وَ جَعَلَ لِكُلِّ شَرْحٍ عِلْماً وَ جَعَلَ لِكُلِّ عِلْمٍ بَاباً نَاطِقاً عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ وَ جَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ ذَاكَ رَسُولُ اللهِ ص وَ نَحْنُ**)[10] .

---

[9] / الكافي ٢٠٨ ١ باب ما فرض الله عز و جل و رسوله ص م

[10] / الكافي ١٨٣ ١ باب معرفة الإمام

معالجة وتقويم

أهم ما يحتاجه الشتات المعرفي والوعي المشتت عند إرادة المعالجة والتقويم ، هو بعد (المنهجة) في جمع تلك المعارف الولائية ، فإننا قد سلّطنا الضوء على إشكالية الوعي الولائي والحسيني ثقافياً ، و نظرنا للملمح الثقافي في المجتمع ، فما يحتاج إليه هو العلاج من سنخ الجنس وذات التوجه ، ليقوم أوده بطريقة معرفية هي المنهجة للأفكار ، ليتحوّل الوعي المشتت إلى ثقافة ممنهجة محكمة.

والهدف الاجتماعي من هذه الوصفة ، هو أن يكون المجتمع في ثبات واستقرار ثقافي فيما يختص بالولاية وما يختص بالمسألة الحسينية،"فالثقافة ـ أي ثقافة ـ إنتاجاً ووعياً ـ

إنما ـ هي وليدة المنهج الذي يضبط إيقاع حركة الفكر ، يربطها بالمنشأ والمبدأ ، ويحفظ سيرها نحو الهدف"[11].

والمنهجة للوعي والأفكار هي الاستيعاب العام لمجمل المعارف وربطها ببعضها ربطاً موضوعياً في حالة تناسقية ، منسجمة مع بعضها البعض ، وبالتالي تسبب وضوح الرؤية للفرد ، فلا تلتبس عليه الأمور، ولا يخترقه الفكر الغريب عن مضمون ثقافته ، ويتحوّل من حالة الضعف الثقافي إلى القوة الثقافية الواثقة ، والمطمئنة والمتيقنة.

[11] / ملاحظات في المنهج ، هاني فحص.

معان وآفاق

المنهجة هي أن نجعل الشيء ذا نهج ، والنهج في اللغة بمعنى البيّن الواضح ، ويقال انتهج الطريق أي : استبانه وسلكه.

وفي الجانب الاصطلاحي الذي يتداوله المفكرون (للمنهجية) أنها اصطلاح يعني "إفادته من الطريقة التي يستخدمها نظام فكري أو علمي ما في جمع مادّة معرفية ـ أو معلوماتية ـ واستخدامه له"[١٢].

والبصائر القرآنية في موضوع المنهجة تغنينا وتزوّدنا بآفاق أخرى موضحة مقاصد المنهجة في عمقها المجتمعي من أجل الحفاظ على الثقافة الإلهية من تموجات الزمان وأهواء البشر..

---

[12] / مصطلحات فكرية ، سامي خشبة.

يقول الله تعالى : **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}**[١٣] .

وفي تأمل قرآني لهذه الآيات الشريفة ، يتّضح أن الله تعالى أنزل (الكتاب بالحق) فهو الذي يمثّل ثقافة الحق من الحق عز وجل ، وهي بهذه الصفة لها الهيمنة[١٤] على سائر الثقافات البشرية التي ما أنزل الله بها من سلطان ، فإن الله جل وعلا جعل لكل دين سماوي شريعة تمثّل القوانين والنظم و المعارف ، ومنهاجاً يمثّل عملية التطبيق وضمان سيرها في الاتجاه الصحيح.

ومن المعاني للشرعة والمنهاج في الآية نقل صاحب تفسير التبيان في تفسير القرآن ، عن المبرّد قوله : "الشرعة ابتداء الطريق ، والمنهاج الطريق المستمر) ، فالمنهاج بهذه المعاني المتوافقة يضمن وضوح الرؤية واستمرارها ضمن تطلّعات الإنسان ومعتقداته فلا ينفكّ عنها ، وقد أشارت الآية

---

[13] / سورة المائدة ، آية ٤٨

[14] / ليس المقصود من الهيمنة بأنها مسيطرة قسراً وبالقوة ، وإنما هي مستحقة ، وهذا بحث آخر.

المباركة إلى بعد هام يدعوا إلى أهمية أن يكون للإنسان منهج واضح في معارفه ودينه، وهو ضمانة استقلالية الفكر والمعتقد ، وضمانة عدم إتباع العقل للأهواء البشرية التي تتربّص بالدين ، وذلك في قوله تعالى: **{وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك}**"[١٥].

وهذا تحديداً ما نهدف الوصول إلية (عدم التأثر بأهواء البشر وما تروّج له من دعايات توهن ثقتنا ووعينا بالمسألة الحسينية الولائية) وذلك يتم عن طريق منهجة الأفكار بالاستدلال عليها وربطها بكليات مقاصد الشريعة ومضامينها.

[15] / سورة المائدة ، آية ٤٩

الفصل الثاني

في سبيل ثقافة ولائية

الولايــة .. والــولاء .. وطريــق تجســيدها في ســلوك حضاري أصيل ، وبـلورتها كقيمة ثقافيـة تنـبض بـالحيـاة .. هي مهمة هذا الفصل من الكتاب..

معرفة الولاية

إن عنوان الولاية عريض يتسع بالنظر إليه في أفق العقيدة الإسلامية إلى معنونات عديدة ، حسب ما يسند إليه ، كولاية الله ، وولاية رسوله (ص) ، وولاية أهل البيت (ع) ، وما إلى ذلك..

والولاية التي نرومها هاهنا هي ولاية أهل البيت عليهم السلام التي تستمد شرعيتها من الفيوضات الإلهية والألطاف الربانية ، حيث قال تعالى: **{إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ}**[16] .

وأهل البيت (ع) هم المعصومون من الخطأ والمطهّرون من الرجس ، حيث جاء على لسان أم سلمة قولها

---

[16] / سورة المائدة ، آية ٥٥

: نزلت هذه الآية في بيتي : **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}** [الآية ٣٣ من سورة الأحزاب ٣٣] وفي البيت سبعةٌ : جبريل، وميكائيل ، ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعليّ، وفاطمة، والحسن ، والحسين.

قالت : وأنا على باب البيت ، فقلتُ : يا رسول الله ألستُ من أهل البيت؟

قال : إنّك على خيرٍ ، إنّك من أزواج النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وما قال : إنّك من أهل البيت[١٧].

وقد نادت الأحاديث وتوالت التأكيدات من رسول الله وأهل بيته على الولاية حتى جاء في الحديث: **(عن أبي جعفرٍ (ع) قال بُنيَ الإسلام على خمسٍ على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولايةِ ولم ينادِ بشيءٍ كما نودي بالولايةِ)**[١٨]. ، بل ولعظيم أهميتها قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) : **(معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز**

[17] / الحُسَيْنُ عليه السلام سِمائُهُ و سِيْرَتُهُ ،ص٢٥ ، المحدّثُ المؤرّخ الشاميّ ابنُ عساكر.
[18] / الكافي ، ١٨ ، ٢ ، باب دعائم الإسلام،ص : ١٨

على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب). تقريراً لتلك الحقيقة ، ما يوضح بجلاء أهميتها في نهج حياة الإنسان ، لأنها تمثل الجانب القيادي في الحياة ، فالولي هو قائد الإنسان إلى ما يرضي رب العالمين في سبيل قويم ، وتنطلق قيمة الولاية في خطين لتشكيل نهج الإنسان .

الأول : يرتبط بالجانب العقدي الفكري للإنسان ، الذي يجعله يبصر الكون والحياة بمنظور الولاية الكونية ، كما في قول الله عز وجل : **{إنما وليُكمُ اللهُ ورسولهُ والذينَ آمنوا الذينَ يقيمونَ الصلاةَ ويؤتونَ الزكاةَ وهمْ راكعونَ}**[19] ، وكما روي : **(أنَّ رجلا أتى أبا جعفرٍ [ع] فسألهُ عنِ الحديثِ الذي رُوِيَ عنْ رسولِ اللهِ [ص] أنهُ قالَ منْ قالَ لا إلهَ إلا اللهُ دخلَ الجنةَ فقالَ أبو جعفرٍ [ع] الخبرُ حقٌّ فولّى الرجلُ مدبراً فلمّا خرجَ أمرَ بردّهِ ثمَّ قالَ يا هذا إنَّ لا إلهَ إلا اللهُ شروطاً ألا وإنّي منْ شروطِها)** ، فالولاية في هذا الخط تصنّف في جهة الأصول الدينية

[19] / سورة المائدة، آية ٥٥

الاعتقادية ، مع التوحيد والعدل والنبوة صفاً واحداً، ومتممة لها.

الثاني : هو خط تفعيل هذا الإيمان إلى سلوك ونهج حياتي يستنير به الإنسان في عصور الظلمات بالامتثال لما بلّغوا به من بصائر وهدى ، قال تعالى: **{يا أيُها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ..}**[20] ، ولذا فهي تصنف من هذه الجهة ضمن الفروع الدينية مع الصلاة والصوم والحج والزكاة ، ففي الحديث عن أبي جعفر (ع) : **(بني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، والولاية ..)**[21] .

والجانبان مرتبطان في تفاعلاتهما في تكوين الإنسان وفي نهجه مع بعضهما البعض ، كلُ يؤثر في الآخر وجوداً وعدماً ، انحرافاً واستقامة .. فإن الامتثال الفعلي الذي يُترجم في واقع الحياة ، استّل مصداقيته وصفة الإلزام فيه من الجانب العقيدي المعرفي الذي آمن به من خلاله أهل البيت

---

[20] / سورة النساء ، آية ٥٩

[21] / أصول الكافي ، للكليني ، والأحاديث التي بعده من نفس المصدر.

(ع) أولياءً فوالاهم .. فقد جاء عن أبي جعفر (ع) قال : **(ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته ..)**[٢٢] ، وذلك الامتثال لا ينفع الناس إلا بالولاية ، إذ هي شرط من شروط قبوله .. ففي الحديث عن الصادق (ع) **قال : (أثافي الإسلام ثلاثة الصلاة و الزكاة و الولاية لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها)**[٢٣] .

[22] / الكافي : مصدر سابق
[23] / بحار الأنوار ، ٣٣٠ ، ٦٥ باب ٢٧

بصائر الغيب

تواجه الإنسان المؤمن في تكوين ثقافته الولائية الكثير من المفاهيم والظواهر والصفات التي يتمتع بها أهل البيت (ع) ، كاصطفائهم الإلهي وعلمهم اللدني وخلقهم الأول وولايتهم التشريعية والتكوينية وجميع صفاتهم التي أفاضها الله عليهم واستحصلوها من ذوبانهم في الله تعالى ، تتطلب منه أن يعيها ويؤمن بها.

فهذه الخطوة هي الخطوة الرئيسة في معرفة الولاية واستيعابها ، و إنما يصعب الإيمان بها على الإنسان الذي لا ينتهج نهج السماء في تفسير الظواهر وتشكيل الأفكار ، إذ أن المنهجية التي يتبعها الآخرون ممن لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بالغيب ككاشف للحقائق، إنما تعتمد منهجيتهم في بلورة ثقافتهم على التفسيرات المادية البحتة، والممارسات

التجريبية التي تجعل الفكر معتمداً على اجتهادات إنسانية خالصة ،عادة ما تبوء بالفشل وتقع في وحل الخطأ.

لكن الإنسان المؤمن هو الذي يربط الظواهر الحياتية بالغيب ، ويضع في حسابات التفكير لديه قدرة الله وفيوضاته على أوليائه إذا أراد أن يبلور في عقله ثقافة ولائية ناضجة : فعن صفات المؤمنين يبلغنا الله عز وجل عن أولها (الإيمان بالغيب) ثم يرتب على ذلك أفعاله وسلوكه النابعة من ثقافته ، يقول تعالى : **{ألم. ذلِكَ الكِتاب لا ريْب فيهِ هدىً لِلمُتقين. الذينَ يؤمِنُونَ بالغيْبِ وَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزقْناهُمْ ينْفِقونَ}**[٢٤] .

فإذا نظرنا لأهل البيت وولايتهم ، فينبغي أن لا نتعجّل الحكم وينبغي أن نعقل العقل بعقال الغيب لكي لا يشطّ ويزل .. هذه الحقيقة نجدها ماثلة أمامنا بوضوح في مسألة مشابهة تماماً لما نحن بصدده ، في القرآن الكريم عندما اصطفى الله تعالى مريم ابنة عمران على العالمين ، وأعطاها ما أعطاها من صفاتٍ قد لا يدركها من لا يؤمن بالغيب ، يقول تعالى :

---

[24] / سورة البقرة ، آية ١ ، ٢

{وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين . ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون}[25] .

فالصفات التي اكتسبتها مريم وهي التي تشكل ثقافتنا فيها وفي أولياء الله هي الاصطفاء الإلهي لها .. والتطهير .. والتفضيل على نساء العالمين .. هذه الثقافة تدعو للسلوك العبادي ، فأمرها الله بالقنوت والسجود والركوع مع الراكعين .. ثم تنبؤنا الآيات بأن هذه الثقافة والسلوك إنما هي من أنباء الغيب إذ أننا لم نتحصّل على علوم الأولين ولم ندرك الألطاف الإلهية إلا عندما يخبرنا عنها العالم بالغيب فما كنا لديهم إذ يختصمون.

[25] / سورة آل عمران ، آية ٤٣

فإذا أجهد الإنسان كل أعضائه بالعبادات والطاعات ولم يؤمن بالولاية لأهل البيت عليهم السلام فستذهب كل أفعاله جفاء كالزبد ، كما أوضحنا بالرويات السابقة.

التقوى وعاء الولاية

لأن في الثقافة الولائية عمقاً غائراً وشموخاً يناطح السحاب ، بل وفيها بصائر عريضة ومقامات متدرجة وأبعد من ذلك ، كلامٌ كبير وإدراكه أكبر ، ففي الحديث عن (**أبي عبد الله (ع) قال إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا صدور منيرة أو قلوب سليمة أو أخلاق حسنة إنّ الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ على بني آدم ألست بربكم فمن وفى لنا وفى الله له بالجنة و من أبغضنا و لم يؤد إلينا حقنا ففي النار خالدا مخلدا**)[٢٦] .

هذا هو أمر أهل البيت وولايتهم التي نسعى لتشكيلها في وعينا ، فكيف يصل الإنسان لمعرفة الولاية ويصدق بنتائجها التي عبّروا عنها عليهم السلام بأنها صعبة مستصعبة ؟

---

[26] / الكافي ، ٤٠١ ، ١

لابد للإنسان المؤمن لكي يصل للمعرفة الولائية ويتنقل في درجاتها صعوداً من أن يعمل على نفسه أولاً ، لأن النفس هي المنطقة التي تتحرك فيها عملية الرضا والقبول، والرفض والصد .. إنها تحتاج إلى تهذيب وتمرين يمكّنها من التسليم لنتائج الغيب وبصائر الوحي .. فإن الله عز وجل عندما ألقى الرسالة على رسولنا الكريم (ص) ليتحمل صعوباتها التي لا تضاهيها صعوبات ، قد أمره بالتسبيح ، وهو فعل تقوم به النفس لتنزيه الساحة الربانية عن مواصفات المخلوقين .. ثم أقرأه الرسالة : قال تعالى **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى . وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى. فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى. سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى. إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى. وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى. فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}**[27] .

وحتى تصل النفس لدرجة الرضا بالنتائج العظيمة تحتاج إلى أن تسير في خطين متعاكسين ومتكاملين:

[27] / سورة الأعلى ، من الآية ١ إلى ٩

الخط الأول : كبح جماح الهوى وعدم اللهث وراء الشهوات الدنيوية سواء شهوات البدن أو شهوات النفس ، يقول تعالى عن بلعم ابن باعوراء وهو الذي وصل مواصيل عالية من الإيمان حتى أعطاه الله اسمه الأعظم : **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ..}** ، فكانت لديه فرصة أن يرفعه الله إلا أن اتباع الهوى حال دون ذلك ..وذلك لأن هنالك شوائب تشوب النفس تجعلها لا تدرك ولا تذعن ، بل إن الهوى كما جاء في الروايات . **قَالَ الصَّادِقُ (ع): وَالْهَوَى عَدُوُّ الْعَقْلِ وَمُخَالِفُ الْحَقِّ وَقَرِينُ الْبَاطِلِ وَقُوَّةُ الْهَوَى مِنَ الشَّهَوَاتِ وَأَصْلُ عَلَامَاتِ الْهَوَى مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْفَرَائِضِ وَالِاسْتِهَانَةِ بِالسُّنَنِ وَالْخَوْضِ فِي الْمَلَاهِي)**[28] .

الخط الثاني : الدخول في حالة التقوى ، فمخالفة الهوى هو أمر ممهّد لكي يكون الإنسان متقياً لله تعالى ، حيث يسلّم بما جاءه من حقائق وأفكار إذا كان مصدرها الله عز وجل ، لتجعل عقل المؤمن وقلبه وعاءاً للثقافة الولائية يستقبلها العقل

[28] / مستدرك الوسائل ، ٩ ، ٢١٢ ، ١١

برضا النفس واطمئنانها ، يقول تعالى : **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** ، الإنسان الذي يسلّم لله طائعاً سوف يؤدي صلاته على النبي امتثالاً لأمر الله ، وفي قوله تعالى : **{اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}**، إذ لا بد من تقوى الله حتى يكون الإنسان مع الصادقين اتباعاً ونهجاً .. يحدثنا الإمام أبو جعفر (ع) عن هذه الآية عندما سأله عنها أحد أصحابه قال : **(إيانا عنى)**.

فالصادقون أهل بيت النبوة ولابد لأنفسنا أن تتحلى بالتقوى لتكون لمعرفتهم خير وعاء فـ**(العاقل من كان ذلولا عند إجابة الحق منصفا بقوله)**[٢٩] كما يقول الإمام الصادق (عليه السلام)..

[29] / بحار الأنوار ، ١٣٠ ، ١ ، باب ٤

التبرّي وجلاء الولاية

لكي نصل إلى ثقافة ولائية نقيّة من أي شوائب قد تشوبها ، علينا أن نحافظ على مستوى رغبتنا في تحقيق هذا الهدف ، فإننا بمعرفتنا للولاية وأهميتها في حياة الإنسان قد اعتبرناها ضرورياً من ضروريات الدين والحياة .. وعندما تجلّت الولاية في أهل البيت (ع) فإن قلوبنا قطعاً ستتعلّق بهم حبّاً وستحيط بهم ولاءً..

ولكن هذا الحب لابد أن تصاحبه معرفة حقيقية بهم (عليهم السلام) ليكون حبّاً صادقاً يسير في طريق الحق ونحو الحق..

ومن النتائج التي تنتهي إليها حقائق الولاية هي البراءة من أعداء الولاية والبغض لهم ، كنتيجة طبيعية نابعة من

المضمون المفهومي للولاية والتولي للحق ولمن تمثّل في الحق .. ولكن هذه النتيجة تعد أيضاً أساس من أسس الثقافة الولائية الصحيحة ، فهي أول النتائج المستخلصة من مسألة الولاية ، وتساهم بعد ذلك في عملية استخلاص الحقائق الناصعة ، و في القبول النفسي لها.

إن الله سبحانه وتعالى يقول : **{لا إكراهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشدُ منَ الغيِّ فمَنْ يكفُرْ بالطاغوتِ وَ يؤمنْ باللهِ فقدِ استَمسَكَ بالعُروةِ الوُثقى لا انفِصامَ لها و اللهُ سميعٌ عليمٌ}**[30] ، فللوصول إلى التمسّك بالعروة الوثقى التي لانفصام لها ، لابد من شرطين هما الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله ، والإيمان بالله هو الاتجاه الإيجابي الذي يسعى إليه الإنسان ، أما الكفر بالطاغوت فهو الاتجاه السلبي الذي ينتهجه ، و موقعه في طريق الوصول للحقائق هو التباعد التام عن أي شائبة أو ظلمة للوصول إلى نور الحق.

---

[30] / سورة البقرة، آية ٢٥٦

فقال الإمام علي (ع) : **(مفتاح الخير التبري من الشر)**[31] ، كقاعدة عامة للدخول في دائرة الخير هو أن يتبرأ الإنسان من الشر ورموز الشر ، وهكذا قالت فاطمة الزهراء عن حقيقة التقوى والإخلاص : **(والتبري من الشرك إخلاصا للربوبية فاتقوا الله حق تقاته وأطيعوه فيما أمركم به فأنما يخشى الله من عباده العلماء)**[32] .

وعن أبي عبد الله [ع] قال قال رسول الله [ص] لأصحابه أيُّ عرى الأيمان أوثق ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم وقال بعضهم الصلاة وقال بعضهم الزكاة وقال بعضهم الصيام وقال بعضهم الحج والعمرة وقال بعضهم الجهاد فقال رسول الله [ص] : لكل ما قلتم فضل وليس به ولكن أوثق عرى الأيمان الحب في الله وبغض في الله وتوالي أولياء الله والتبري من أعداء الله)[33] .

وفي تجسيد البراءة من أعداء الله والرسول والأولياء في موضوع الولاية ، ينبغي أن يزيل المؤمن من قلبه أي ذرّة

---

[31] / غرر الحكم ، ص ١٠٦.
[32] / كشف الغمة ، ٤٨٠ ، ١
[33] / الكافي ، ١٢٥، ٢

حب يحتفظ بها لمن يعادون الله والرسول والأولياء ، لأنه إن بقى شيء من الحب في قلب المؤمن فسيكون ذلك حائلاً بينه وبين معرفة الولاية ، والإيمان بها.

ولذلك نرى في الكثير من الأدعية والزيارات موضوع التولي لأولياء الله والتبرّي من أعدائه يشكل ركيزة أساسية وبعداً هاماً في علامة المؤمن ، جاء في زيارة للإمام الحسين (ع) : **(اللهم إني أشهد بالولاية لمن واليت ووالت رسلك ، وأشهد بالبراءة ممن تبرأت منه وبرئت منه رسلك)**.

وفي حديث صريح يلخّص الدين وموضع التولي والتبري **(عنْ أبي الجارودِ قالَ قلت لأبي جعفرٍ ع يا ابنَ رسولِ اللهِ هلْ تعرفُ مودّتي لكمْ و انقطاعي إليكمْ و موالاتي إياكمْ قالَ: فقالَ نعمْ ،قالَ: فقلت فإني أسألكَ مسألة تجيبني فيها فإني مكفوف البصرِ قليلِ المشي و لا أستطيع زيارتكمْ كلَّ حينٍ قالَ: هاتِ حاجتكَ قلت: أخبرني بدينكَ الذي تدينُ اللهَ عزَّ و جلَّ بهِ أنت و أهلُ بيتكَ لأدينَ اللهَ عزَّ و جلَّ بهِ قالَ: إنْ كنت أقصرت الخطبةَ فقدْ أعظمت المسألةَ و اللهِ لأعطينكَ ديني و دينَ**

آبائيَ الذي ندينُ اللهَ عزَّ وَ جلَّ بهِ شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وَ أنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللهِ [ص] وَ الإقرارَ بِمَا جاءَ بهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَ الولايةَ لِوَلِيِّنا وَ البَراءةُ مِنْ عَدوِّنا وَ التسليمَ لِأمرِنا وَ انتِظارَ قائِمِنا وَ الاجتِهادَ وَ الوَرَع)[٣٤].

فأعداء الله والرسول والأولياء لا يتمنون الولاية إلا لأنفسهم ويسعون جاهدين لكسب الآراء لصالحهم ، فمن يكنّ لهم حبّاً ، بل حتى من لم يعادهم ولم يبغضهم ، فإنه لن يسعى للوصول إلى حقائق ولائية تنافي مصلحة أولئك الأعداء ، أو يعمى القلب ، ويتذرع بالتبريرات والتأويلات لمجانبة الحق ..

---

[34] / الكافي ، ٢١ ، ٢

تحديات المستهزئين

في حركة الفكر في ساحة المجتمعات ، تنقسم الأحكام التي تعبّر عن الثقافة الإسلامية إلى قسمين ، قسم متغيّر ، يتغيّر وفق المجتمع الذي تخاطبه ، لتلائم بيئته وتتناسب مع أفراده ، وقسم ثابت لا يتغيّر ، يبقى ثابتاً في كل المجتمعات البشرية عرضاً مكانياً ، وطولاً زمنيّاً ، والثقافة الولائية كقيمة ومضمون ومعتقد ، إنما هي من القيم الثابتة ، أي لا يجب أن تتغيّر إذا تبدّل المجتمع ، ولا تتحوّل إذا تنامى الوعي الإنساني .

والفرد الذي يريد الوصول إلى ثقافة ولائية سليمة ينبغي أن يعي هذه الحقيقة لكي لا تؤثر في عملية تفكيره البيئة التي يعيش فيها ، فيصل إلى نتائج خاطئة أو أنه لا يستوعب النتائج الحقيقية فيرفضها .. فمن الثابت أن الفرد يتأثر فكرياً

بالمحيط الذي يعيش فيه ، فتراه يؤمن بما يؤمنون ويكفر بما يكفرون ، وهذا التأثر قد يكون إيجابياً وقد يكون سلبياً حسب المادة والمضمون الذي يستقيه ويتأثر منه.

فنظرية (التوافق الاجتماعي) في المنطق والاجتماع تؤكد تأثير ثلاث حالات على الفرد فكرياً ، أولها الحشد ، وثانيها الانتماء ، وثالثها البيئة[٣٥] .. ومن هنا يأتي دور من يقصد الوصول للحقائق دون تأثير من هذه الجهات في ثقافته في عزل العملية الفكرية والتفكيرية عن إيمان من حوله من الناس ، ممن يساهمون في تضمينه أفكاراً لا تحمل البرهان .

يقول تعالى : **{فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}**[٣٦] ، هذه الحقيقة هامّة جدّاً ، لأن كل القوى والحضارات المناوئة للإسلام ، ولمبدأ الولاية تحشّد الآراء

[35] / راجع كتاب (المنطق الإسلامي) لآية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.
[36] / سورة الحجر، الآيات من ٩٤ إلى ٩٩

والأبواق في كل وسائل الإعلام ، لإشاعة رأي يطعن في الولاية والسلوك الولائي ، ولم يكن هذا التصرّف وليد اليوم ، بل اتبع هذا الأسلوب في حقب كثيرة من التاريخ الإسلامي ، ولم تدع الآيات النبي (ص) أن يتخلّى عن معتقداته بسبب استهزاء المشركين ، بل أعطته خطة لمواجهة ذلك الفعل ، فأخبرت الآيات أنهم على خطأ ، وسيعلمون في يوم ما بهذا الخطأ ، وأمرت الآيات أن يتذلل الإنسان لله ويسبّح بحمده ليكون خاضعاً (من الساجدين) فهذا هو طريق اليقين ، وهي الفكرة التي نؤكّد عليها هنا.

فلا يجب أن نغفل الحقيقة القرآنية القائلة : **{وَما يأتيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلا كانوا بهِ يستهزؤن}**[37] ، وأن نقصد رضا الله عنّا لا رضى الناس وإعجابهم ، يقول الرسول (ص) : **(عن الباقر [ع] قال رسول الله [ص] من طلب مرضاة الناس بما يسخط الله كان حامده من الناس ذاما و من آثر طاعة الله بما يغضب الناس كفاه**

[37] / الحجر ، آية ١١

الله عداوة كل عدو و حسد كل حاسد و بغى كل باغ و كان الله له ناصرا و ظهيرا)[٣٨] .

وقد يرد خاطر التقية في المسألة الولائية ، فيركن الإنسان إلى أن يتّقي شر الظالم أو المجتمع ، لكن التقية تسير في اتجاه آخر .. إذ نحن نقصد الوصول إلى ثقافة ولائية سليمة تتشكل في عقل المؤمن ، لتنطبع على سلوكه الحياتي ، والتقية إنما تمسّ الجانب العملي الذي قد يأتي في بقعة دون أخرى من عدم ممارسة بعض الممارسات خوفاً على النفس أو العرض أو الدين .. فهذا لا يعني أن نكتم الحقائق أو ندين من أشربوا بالولاية.

فقد جاء **(عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ التَّقِيَّةُ فِي كُلِّ ضَرُورَةٍ وَ صَاحِبُهَا أَعْلَمُ بِهَا حِينَ تَنْزِلُ بِهِ)**[٣٩] ، مما يدل على أن التقية أمر نسبي وشخصي له اتصال بالواقع العملي لذلك الشخص لا الإيمان الداخلي ، ومبعثه الضرورات التي تقدر بقدرها.

---

[38] / مشكاة الأنوار ص ٣١٧، الفصل السادس.
[39] / الكافي ج : ٢ ص : ٢٢٠

الإمام الحسين [ع]
ووعي الانتماء

إن معرفة الإمام الحسين (عليه السلام) تمثل بعداً مهماً في المعرفة الولائية ، وفي الإيمان بشكل عام ، ومن أجل التقدّم خطوة في طريق تكوين ثقافة ولائية حسينية صادقة تتجه في اتجاه دعم القيم الكبرى للدين ، وتتسكب في وعاء التقوى ، لتكون غير متناقضة أو متضاربة فيما بينها ، لابد من جعل معرفة الإمام الحسين (عليه السلام) بداية ومنطلق ، ونلمح في هذا الموضوع إلى خطوط عامة لمعرفة الإمام الحسين (عليه السلام)، الذي بمعرفته تعرف حركته وقيمتها ، لأن الثورة الحسينية إنما هي مؤتمرة بأمر الإمام ، ومرسومة بيده ، وقد تحركت تحت نظره ، فجسّد كل قيم الإسلام التي

كان يحملها في تلك المسيرة التي نستطيع أن نصفها بالمسيرة الحسينية الربانية.

إن أهم ما يمكن أن نعرفه عن الإمام الحسين (عليه السلام) ومقامه الكوني والإنساني ، هو ما قد بلّغه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في حياته للناس ، وأكد عليه تأكيداً مستمراً في أوساط المسلمين ، وقد اغتنم كل فرصة ليخبرهم بفضله ومكانته ، وهذا الفعل من الرسول (صلى الله عليه وآله) إنما يدل على أهمية هذه الشخصية بالنسبة للمسلمين ، بل ومحوريتها في حياتهم ، والكلمات النيرة التي أطلقها الرسول (صلى الله عليه وآله) لهي خير شاهد على ذلك.

باب الجنة

لقد خلق الله تعال الجنة والنار ، وجعل لكل واحدة منهما شروطاً وأفعالاً ، فمن يستحق الجنة هم المتقون والصالحون ، يقول تعالى : **(ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى**

وهو مؤمن فألوئك يدخلون الجنة)[40]، وموالاة الإمام الحسين (عليه السلام) تمثل باباً من أبواب الجنة ، فقد قال (صلى الله عليه وآله) : **(ألا وإن الحسين باب من أبواب الجنة، من عاداه حرّم الله عليه ريح الجنة..)**[41] .

معدن الرسالة

وتأصيلاً لمسيرة الإمام الحسين (عليه السلام) وبيان ماهيتها ونهجها قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) : **(حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط)**[42] ، فيكون الإمام الحسين هو امتداد للرسول وحركته امتداد لحركة الرسول ، وأهداف الإمام هي نفسها أهداف الرسول ، وهذا ما يدل عليه قوله (صلى الله عليه وآله) : (وأنا من حسين) ، حيث يعمل الإمام على إحياء

---

40 / سورة غافر ، آية ٤٠
41 / من شعاع الإمام الحسين (ع)، للإمام الشيرازي
42 / حياة الإمام الحسين (ع) ، باقر شريف القرشي.

الرسالة واستمرارية نهجها ، ولذلك قال الإمام الحسين (عليه السلام) : **(إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة..)**[٤٣] .

وارث الأنبياء والرسل

لقد أعطي الإمام الحسين (عليه السلام) خصيصة عظيمة ، وهي أنه ورث الأنبياء والرسل ، ليس بأموالهم بالطبع ، بل بإمكاناتهم ومقامهم ودورهم في الحياة وفي الناس ، واجتمعت فيه خصائصهم مجتمعين ، وهانحن نردد في زيارته (عليه السلام) **(السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله ، السلام عليك يا وراث نوح نبي الله ، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله ، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله ، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله ..)**.

مصباح الهدى وسفينة النجاة

إن الإمام الحسين (عليه السلام) (باب الجنة) و(معدن الرسالة) ، ولكنه بالنسبة لنا (مصباح هدى) ، و (سفينة نجاة)

---

[43] / نفس المصدر.

، كما في الحديث عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) :

(والذي بعثني بالحق نبيا إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض ، وانه مكتوب عن يمين عرس الله (مصباح هدى وسفينة نجاة)[44].

فالمصباح كاشف للحقائق ، والحقائق التي يكشفها الإمام الحسين (عليه السلام) هي حقائق الهدى ، وهي الحقائق الإلهية المتجلية في القرآن الكريم ، حيث قال الله تعالى : **{ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين}** ، والهدى من الله تعالى ، وهو (عليه السلام) سفينة نجاة عند الملمات ومواجهة أمواج اللوابس من الأفكار وغيرها.

[44] / بحار الأنوار ، ج٩١ ، ص١٨٤، ح١

الفصل الثالث

رؤية تاريخية

انفعالات الثقافة في المسيرة الحسينية

الثورة الثقافية

وقعت المعركة الكربلائية الدامية على أرض الطف في سنة إحدى وستين للهجرة ، وانبجست منها منظومة من القيم الربانية العظيمة ، قاصدة ربوع العالم الإسلامي ، بل تجاوزته إلى غيره من العوالم ، هذا على النحو الفعلي ، أما الصفة الذاتية للثورة الحسينية فإنها ثورة عالمية وشمولية ، أي أنها أخذت في اعتباراتها صلاح العالم بأسره عبر القيم التي أسستها وأحيتها ، فلم تتقيد بمجتمع دون آخر ، ولم يسلبها زمانها ومحدودية مكانها من الانطلاق إلى رحاب العالم.

عندما نقرأ الثورات التي أثرت في المجتمعات البشرية ، نجد بواعث قيامها إما لتحقيق قيمة جديدة ما أو للمطالبة بإقامة قيمة معطلة ، ولكن ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)

مع تحقق كلتا الخاصيتين فيها إلا أنها أيضاً كانت مصنعاً للقيم ، فكانت ثورة لصناعة ثروة كبيرة من القيم .

وإننا نجد أن الباحثين الذين تعاطوا مع هذه الثورة المباركة بالبحث والدراسة ، أجمعوا على أمر واحد ، هو عجزهم عن الإحاطة بمنظومة القيم الحسينية والكربلائية واستيعابها بشكل كلي ، فكلما أمعن أحدهم النظر ودقق البحث في جوانبها فإنه يستكشف آفاقاً جديدة ورؤى لم يكن قد رآها من ذي قبل .

وقد غدت تلك الثورة مغذية لجميع الثورات الشيعية التي انطلقت بعدها ، فرفعت ثورة التوابين شعار الأخذ بثأر الحسين من القوى الظالمة بقيادة سليمان ابن صرد الخزاعي الصحابي الجليل ، وهكذا المختار الثقفي في ثورته ضد ظلم بني أمية ، وحركة أهل المدينة في واقعة الحرة ، وكذلك زيد بن علي بن الحسين ، وابنه عيسى ، والسادة الحسنيين من أبناء الإمام الحسن (ع) ، وغيرها من الثورات والحركات وإلى تاريخنا المعاصر جعلت الثورة الحسينية في مقدمة

أدبياتها التي تستلهم منها رؤاها وقيمها ، ومنها الثورة الإسلامية في إيران التي قادها الإمام الخميني (قدّس سره) ، وقد قال قولته المشهورة : "كل ما لدينا من الإمام الحسين (عليه السلام)".

كما أن تلك القيم التي انطلقت من الثورة الحسينية توجّهت نحو الآخر ، فعلى الصعيد الإسلامي السني تحدث الشيخ محمد عبده قائلاً : "لو لا الحسين لما بقي لهذا الدين من أثر" ، بياناً لتأثير تلك الثورة على الواقع الإسلامي والحركات الإسلامية المختلفة.

وإشارة إلى بعد المأساة وقيمتها وصفها المؤرخ الإنجليزي الشهير (جبيون) بقوله : "إن مأساة الحسين المروعة ، بالرغم من تقادم عهدها ، وتباين موطنها لا بد أن تثير العطف والحنان في نفس أقل القرّاء إحساساً وأقساهم قلباً" .

وهذا غاندي الذي تمكن من دحر الاحتلال البريطاني من وطنه الهند ، ورغم عدم انتمائه للإمام الحسين عقيدياً إلا

أنه نهل من قيم الثورة الحسينية قيمة (المظلومية) واستطاع توظيفها لصالح قضيته ، وقد عبر عن ذلك قائلاً : "تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر" .

فالثورة الحسينية إنما كان من خصائصها أن قامت بدور ثقافي غير محدود ، وهو عملية إنتاج وصناعة الأفكار والقيم للأجيال التي جاءت وستجيء بعدها ، وكان الإمام الحسين (عليه السلام) بحق مصباح الهدى الذي استضاءت به الكثير من الحركات والقادة بعد الثورة ، فكانت الثورة بداية لا نهاية ، "ففاجعة الطف كانت البداية ، فمنذ القطرة الأخيرة التي أريقت من دم أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه بدأت شجرة الإسلام بالحياة من جديد ، وكان ذلك اليوم بداية الربيع ، حيث أن عشرات الملايين من البشر اهتدوا بأبي عبد الله الحسين (ع) ، وبدأت مسيرة التاريخ تتكامل وتتكامل ، وتتحقق كلمة الرسول الأعظم (ص) ، حيث قال صلى الله عليه وآله : (حسين مني وأنا من حسين"[٤٥] .

[45] / الإمام الحسين قدوة الصديقين ، لآية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي ، ص ١٢٠

الإمام الحسين في ساحة الثقافة

الثورة الحسينية نمط آخر من الثورات ، فقد أسّست واقعاً مختلفاً وفكراً وأدباً خاصاً ومتميزاً ، إنها ثورة في كل جوانبها إضاءات ، ولذلك نقرأ فيها فكراً حسينياً وأدباً كربلائياً. ولكل ذلك أسباب ، والأسباب عديدة ، نلقي الضوء في بحثنا هذا على دور الثقافة في المسيرة الحسينية ومشاهد انفعال الثقافة فيها ، فلم تكن الثورة ذات جانب سياسي فحسب كما يحلو للبعض ، ولم تكن ساحة عسكرية ، بل هي قبل ذلك صراع القيم ، وثورة القيم ، وقد استوعبت الكثير من الجوانب التي تتصل بالإنسان ، لأنها ثورة من أجل الإنسان بمنطلقاتها الإلهية.

نؤكد في البدء أن للإمام المعصوم في العقيدة الإسلامية دوراً واسعاً في حركة المجتمع ، ومنه أنه يهتم

بالشأن الثقافي ويمارس العمل في ميدان الثقافة ، التي هي المعارف المحركة للمجتمع والمتحكمة في ديناميكيته ، والإمام الحسين(ع) بصفته أحد المعصومين سار على ذات المنهاج ، وقد تميّز بأنه (ع) كان ربيب رسول الله (ص) في طفولته ، وربيب السيدة فاطمة الزهراء (ع) في صغره ، وربيب أبيه الإمام علي في شبابه ، ومصاحباً لأخيه الإمام الحسن في كهولته.

وقد ورد في الحديث **(كان الحسن والحسين يغران العلم غرا) وقال حبر الأمة عبد الله بن عباس : (الحسن من بيت النبوة وهم ورثة العلم)**[٤٦].

فمن الأسباب التي أدّت إلى تكوين الانفعال الثقافي بعد الثورة الحسينية بهذه السعة وهذا العمق هو انفعال الثقافة والفكر في حياة الإمام (ع) منذ الصغر ، فقد كان (ع) مستوعباً وممارساً للمعارف الإلهية منذ صغره ، والحوادث التاريخية تشهد بذلك بكل وضوح.

---

[46] / حياة الإمام الحسين (ع) ، باقر شريف القرشي.

وقد غرس في قلبه أبوه الإمام أمير المؤمنين (ع) ، بصائر الحق ونور العلم بالوصايا التي كان يوصيه بها في صغره ، ومما قاله (عليه السلام) لأبنه الحسين : **(" يا بني أوصيك بتقوى الله عز و جل في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الرضا ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل ، والرضا عن الله تعالى في الشدة والرخاء .**

يا بني ما شر بعده الجنة بشر ، ولا خير بعد النار بخير ، وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية ..

اعلم يا بني أن من أبصر عيب نفسه شغل عن غيره ، ومن رضى بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاته ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن حفر بئرا وقع فيها ، ومن هتك حجاب غيره انكشف عورات بيته ، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن كابد الامور عطب ، ومن اقتحم البحر غرق ، ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن سفه عليهم شتم ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن خالط الانذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن مزح استخف به ، ومن اعتزل سلم ، ومن ترك الشهوات كان حرا ، ومن

ترك الحسد كان له المحبة من الناس)[٤٧].

ومنها أنه عندما ارتقى المنبر أحد الرجال غير المؤهلين ، وقف الإمام الحسين وهو طفل صغير وقد دعاه أمام الحاضرين للنزول عن المنبر وقال هذا منبر أبي ، لأنه كان يؤمن بأن ولاية الإمام علي (ع) من الله ولا يحق لأحد أن يتقمّص الخلافة وقد قال له الرجل مستغرباً علمه بذلك:

(فمنبر أبيك لعمري يا حسين لا منبر أبي من علمك هذا أبوك علي بن أبي طالب!

فقال له الحسين (ع): إن أطع أبي فيما أمرني فلعمري إنه لهاد و أنا مهتد به و له في رقاب الناس البيعة على عهد رسول الله نزل بها جبرئيل من عند الله تعالى لا ينكرها إلا جاحد بالكتاب قد عرفها الناس بقلوبهم و أنكروها بألسنتهم و ويل للمنكرين حقنا أهل البيت ما ذا يلقاهم به محمد رسول الله [ص] من إدامة الغضب و شدة العذاب...)[٤٨].

---

[47] / حياة الإمام الحسين (ع) ، باقر شريف القرشي
[48] / الاحتجاج ، ٢٩٢ ، ٢

وكذلك في القصة الشهيرة التي كان مع أخيه الإمام الحسن وهما صبيان صغيران وقد علّما الرجل الكبير الوضوء ، فقد نم ذلك عن حكمة وعلم ، ووضع لنا الإمام (ع) منهاجاً تربوياً للتأثير في الناس من أجل الخير.

ويمكننا أن نلاحظ اهتمامه (عليه السلام) بالمجتمع وبأحوال وعيه ، من خلال متابعته لحركة الثقافة في المجتمع وسؤاله من يلاقيهم عن أقوامهم ، فينقل لنا التاريخ أن الإمام الحسين (ع) لمّا أتاه جعيد الهمداني ، بادره الإمام بالسؤال: **(أخبرني عن شباب العرب ؟)** فأخبره .. وعندما قدم عليه (أناس من أنطاكية سألهم عن حال بلادهم ؟ وعن سيرة أميرهم فيهم ؟ فذكروا خيراً ، إلا أنهم شكوا البرد).

ومثال على رجوع الناس إليه في الفتيا ما نقل أن عبد الله بن الزبير قد استفتاه قائلا : **" يا أبا عبد الله ما تقول في فكاك الأسير على من هو ؟ "**.

فأجابه [ع] : " على القوم الذين أعانهم أو قاتل معهم...".

وسأله ثانيا " يا أبا عبد الله متى يجب عطاء الصبي ؟ ".

فأجابه [ع] : إذا استهل وجب له عطاؤه ورزقه "[49] .

وقد كان مجلس الإمام الحسين (عليه السلام) حافلاً ، وملتقى للعلم ، حيث يفد الناس عليه لينهلوا من علمه ، بل تميّز مجلسه بأنه مجلس جاد وذو أهمية ، يتضح ذلك من جواب معاوية لسائل من قريش يسأله عن المكان الذي يجد فيه الإمام الحسين (ع) فأجابه معاوية بقوله : **(إذا دخلت مسجد رسول الله [ص] فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبد الله)**[50].

هذه نماذج من الفعل الذي كان يمارسه الإمام (ع) في المجتمع ، كما ويمكننا أن نضيف بعض المشاهد المهمة في هذا المجال ألا وهي رحلات الإمام (عليه السلام) إلى الحج ، فإن الروايات تؤكد على أنه (ع) قد حج خمسة وعشرون سنة ، والحج يمثل ملتقى للشعوب المختلفة ، وقد استثمر الإمام الحج في توعية الناس وتغذيتهم بالمفاهيم الإلهية ، وقد تمثلت صور العطاء في الحج في الحوار أو الدعاء أو الإجابة على

---

[49] / حياة الإمام الحسين (ع) ، باقر شريف القرشي.
[50] / حياة الإمام الحسين (ع) ، باقر شريف القرشي.

التساؤلات أو إلقاء الخطب ، ولعل أشهر تلك الخطب تلك التي ألقاها قبل موت معاوية بسنتين في مؤتمر (منى) ، فقد جمع الإمام الحسين (ع) بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم ، والأنصار ، وأصحاب الرسول (ص) وأبناءهم ، والتابعين والمعروفين بالصلاح ، فاجتمع في ذلك المؤتمر أكثر من ألف رجل .. فألقى الإمام (ع) فيهم خطبته الطويلة التي حوت معالم الثقافة الإسلامية في جوانب عديدة ومن أبرزها الجانب السياسي ، وتضمنت واقع بني أمية ، وجاء فيها : **(أما بعد فأن الطاغية قد صنع بنا و بشيعتنا ما قد علمتم و رأيتم و شهدتم و بلغكم و إني أريد أن أسألكم عن أشياء فأن صدقت فصدقوني و إن كذبت فكذبوني اسمعوا مقالتي و اكتموا قولي ثم ارجعوا إلى أمصاركم و قبائلكم من أمنتموه و وثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون فأني أخاف أن يندرس هذا الحق و يذهب و الله متم نوره و لو كره الكافرون فما ترك الحسين شيئا أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله و فسره و لا شيئا قاله الرسول في أبيه و أمه و أهل بيته إلا رواه و كل ذلك يقول الصحابة اللهم نعم قد سمعناه و شهدناه و يقول التابعون اللهم قد حدثنا من نصدقه و نأتمنه حتى لم يترك شيئا إلا**

قاله ثم قال أنشدكم بالله إلا رجعتم و حدثتم بـه مـن تثقـون بـه ثم نزل و تفرق الناس على ذلك ..)[51] .

هـذا فضـلاً عـن كلمـات الإمـام الحسـين وتوجيهاتـه المضيئة بالعطاء الثقافي طول فترة إمامته التي دامت عشر سنوات وعشرة أشهر ومنها قوله (ع) : (**إن مـن وضـع دينـه على القياس لم يزل الدهر في التباس سائلا ناكبا عـن المنهـاج ، طاعنا بـالاعوجاج ، ضالا عن السبيل ، قائلً غير جميل).**

[51] / الاحتجاج ، ٢٩٦ ، ٢

رعاية المسيرة ثقافياً

لقد ساعد انفعال الثقافة في مسيرة الإمام الحسين (ع) طوال مدة حياته وقبل الثورة الكربلائية على بلورة الخطاب الحسيني بشكل تكاملي فاعل.

وهذا الخطاب هو أحد أروع تجليات الانفعال الثقافي في الحركة الحسينية التي قارعت الظلم و الظالمين ، فقد تغفل الحركات وقادتها عن بلورة خطاب ثقافي يدعم التحرك السياسي والعسكري ويكتفون بالخطاب السياسي المحض ، فلا يكتب للحركة النجاح أو أنها تصاب بالوهن في كثير من تفاصيلها ، إلا أننا نقرأ المسيرة الحسينية وقد صاحبتها حالة الثقة والقوّة من قبل المنتسبين لها والملتحقين بركبها ، بل وحتى بعد مقتل آخر رجل منهم في جبهة القتال ، بقيت المسيرة - ورغم تعرض نسائها للسبي - قوية ثقافياً وواثقة

فكرياً ، فلم تصب الرؤى التي تحدّث عنها الخطاب الحسيني أي عطب أو تراجع ، بل تعززت وصدّقها الزمن ، وأخذت طريقها في الاستمرار.

والمستنتج من ذلك أن هنالك حالة من الوثوقية الشديدة بالمنطلقات الفكرية والأسس التي قامت عليها الثورة ، فإن الإمام الحسين (ع) قد أولى الخطاب الحركي بمضمونه الثقافي اهتماماً واسعاً واستمرارياً.

ولو قرأنا المشاهد التاريخية لوجدنا أن الإمام (ع) لم يتوقف لحظة عن إلقاء الخطب ، أو كتابة الرسائل، فمنذ اليوم الأول للخروج قد أعلن أهداف المسيرة الحسينية برؤية شفافة ، لتكون ماثلة أمام ركب المسيرة ، وذلك عند خروجه من المدينة ، وتحديداً عند لقائه بمروان عند محاولة الأخير تحسين صورة أمر بيعة يزيد في عين الإمام (عليه السلام) أجابه قائلاً : على الإسلام السلام إذا ابتليت براعٍ مثل يزيد ، ولقد سمعت جدي رسول الله (ص) يقول : **(الخلافة محرمة على آل أبي سفيان فأذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه**

، وقد رءاه أهل المدينة على المنبر فلم يبقروا بطنه فابتلاهم الله بيزيد الفاسق).

وقد أشار في خطاباته (ع) إلى أهدافه وهي طلب الإصلاح في أمة جده رسول الله (ص) ، وإعادة المسلمين للإسلام ، وبناء الوضع الاجتماعي المنهار.

وفي مكة بعد أن بلغته كتب أهل الكوفة التي تدعوه للمجئ إلى الكوفة ليكون لهم إماماً وحاكماً ، فبعث لهم رسالة مع سفيريه مسلم ابن عقيل ، يخبرهم باستجابته وجاء فيها **(فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب ، القائم بالقسط ، الداين بدين الحق ، الحابس نفسه على ذات الله والسلام)**[٥٢] .

ولمّا عزم الإمام (عليه السلام) على الخروج من مكة متوجهاً إلى العراق **(قام خطيبا فقال : الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله ، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي**

[52] / قادتنا كيف نعرفهم ، للميلاني ، ج٦، ص١٩٣

تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ، فيملآن مني أكراشا جوفا وأجربة سغبا لا محيص من يوم خط بالقلم ، رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، وبعد أن أوضح للناس المقصد وما ستكون النهاية ، دعاهم بقوله : من كان باذلا فينا مهجته ، وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فأني راحل مصبحا إن شاء الله تعالى)[٥٣] .

وإلى آخر أيامه في كربلاء عندما نزل عمر بن سعد بالحسين وأيقن الإمام (ع) أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : **قد نزل بنا من الأمر ... إلى أن قال ألا ترون إلى الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ؛ ليرغب المؤمن في لقاء ربه ..**

وهذا الخطاب جاء تصديقاً واقعياً لمضامين الخطابات السابقة ، الأمر الذي يضفي تعزيزاً إضافياً للوثوقية بالمنطلقات الفكرية ليتجلى الإيمان بها والتضحية من أجلها ، وهذا ما حكاه واقع الطف بشكل جلي.

---

[53] / قادتنا كيف نعرفهم ، ج٦، ٦٩

المرجعية الفكرية في الخطاب الحسيني

من الأسباب التي ولّدت انفعالاً ثقافياً في عقول الملتحقين بركب المسيرة الحسينية ، وحفرت المنهج الذي كان على أثره يسير الإمام ، بالإضافة إلى ما ذكرناه من رعاية الإمام الحسين (ع) المسيرة بالخطاب ذي المضمون الثقافي ، فهنالك أيضاً خصيصة أخرى تتصل بمضمون الخطاب ، فالاهتمام بالخطاب من قبل الإمام (ع) كان عرضياً وطولياً ، وما يكتنفه من المضمون الفكري هو الذي يشير إلى الطولية فيه ، أما العرض فهو تكثيف وتعدد الخطاب وفق مراحل المسيرة ، وهذه الصفة في الخطاب من عوامل نجاحه ومن عوامل ديمومة النهج إلى يومنا هذا ، فهو يذكرنا بالخطاب القرآني الذي نزل (منجّماً) أي مصاحباً فترات ومراحل الدعوة المحمدية ، كما تنوع الخطاب القرآني ، فكان الخطاب

المكـي ، والخطـاب المـدني ، اللـذان يتباينـان مـن حيـث الموضوع ، ولكنهما يلتقيان في المبدأ والمنطلق.

و لقـد كانـت مـن المضـامين التـي أكسـبت الخطـاب الحسـيني قـوة وتـأثيراً فـي الرجـال المخلصـين هـي بيـان المرجعيـة لهذه المسيرة ، ومرجعيـة أيـة حركـة هـي الشرعية التي تستمد منها رؤاها وتقيس وفق معاييرها خطواتها ، فقيمـة المرجعيـة مـن قيمـة شرعيتها التـي تستمدها من الثقافـة التـي يرجع إليها ذلك المجتمع ويقيم لها وزناً واعتباراً ، فالخطـاب كـان لمجتمـع مسلم آمـن بـالله عز وجل وبرسوله المصـطفى (ص) ، فخير مرجعية هي الله تعالى ، ورسوله الكريم ، وهذا ما اعتمده الإمام الحسين (ع) فـي خطابـه ، فإنـه قد كـان دائمـاً يذكّر بالله عز وجل، ويردد آياته، ويستدل بها علـى منطلقاتـه ، و هـو الـذي كـان يكـرر الآيـة الكريمـة : **{تِلْـكَ الـدَّارُ الآخِـرَةُ نَجعلها لِلذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلـوًّا فِـي الأَرْضِ و لا فسـادا و العاقِبَـةُ لِلمُتقِينَ}**[54] .

[54] / سورة القصص ، ٨٣

وقد أشار في خطابه (ع) أنه يحذو حذو جده (ص) وأبيه (ع) ، لأنه الامتداد الإلهي للإمامة ، إذ قال في خطابة إلى أخيه محمد ابن الحنفية : **(إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق ، وأن الجنة والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور)**[55] وفي هذه الكلمات حدّد الإمام موضعه من الدين الذي جاء به الرسول الأكرم وهو موضع المؤمن به كما جاء به الرسول (ص) ، ثم أردف قائلاً : **(إني لم اخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا مفسداً ، ولا ظالماً. وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي [ص] أريد أن آمر بالمعروف ، وانهي عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين ، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ هذا صبرت حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم وهو خير الحاكمين)**[56] ، جاءت هذه الكلمات تعبيراً عن المنطلقات التي انطلق منها في ثورته ، وما ذلك إلا تعزيزاً وتكميلاً لمسيرة الرسول الأعظم

---

55 / قادتنا كيف نعرفهم ، آية الله العظمى السيد محمد هادي الميلاني ، ج٦، ص٥٦

56 / قادتنا كيف نعرفهم.

(ص) ولو تصفحنا تاريخ الرسول الأعظم (ص) في ذات الموضوع الذي يتحرك في دائرته الإمام الحسين (ع) وهو مجابهة الفساد والمفسدين في الأرض، لوجدنا قول الرسول (ص) : **(من رأى سلطانا جائرا، مستحلا لحرام الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله)**، وقد أشار الإمام الحسين في إحدى خطبه إلى هذا الحديث وقال إني سمعت رسول يقول من رأى منكم سلطاناً جائراً .. إلى آخر الحديث.

بل وقد كان الإمام (ع) طوال حياته يروي عن جده النبي الأكرم (ص) ، وقد أحصى بعض المؤرخين بعضاً منها ، وهنا ننقل مقتبس منها:

١ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : **" من حسن إسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه ".**

٢ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : **" من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ".**

٣ - قال (ع) : سمعت رسول الله (ص) يقول : **" ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة أو قال تصيبه مصيبة وان قدم عهدها فيحدث لها استرجاعا إلا أحدث الله عنه ذلك ، وأعطاه ثواب ما وعده عليها يوم أصيب بها"** .

٤ - قال (ع) : سمعت النبي (ص) يقول : **" إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها ".**

٥ - قال (ع) : سمعت النبي (ص) يقول : **" من يطع الله يرفعه ، ومن يعص الله يضعه ومن يخلص نيته لله يزينه ، ومن يثق بما عند الله يغنيه ، ومن يتعزز على الله يذله "**[٥٧].

فهنا يتمثّل أمامنا قول الرسول (صلى الله عليه وآله) : **(حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسينا)** ، حيث جعل امتداد الحسين من امتداد النبي ، وأهدافه هي إحياء الرسالة ، وأن للإمام الحسين (عليه السلام) تمثيلاً إلهياً هو امتداد الرسالة ، فيكون حبه مدار حب الله للناس وعدمه.

[57] / حياة الإمام الحسين (ع) ، باقر شريف القرشي.

انفعال الثقافة .. تأثر الأصحاب مثالا

عندما نبحث الانفعال وندّعي أن هنالك انفعالاً عميقاً للثقافة في المسيرة الحسينية ، فهذا يعني أننا لابد أن نرى أثره في المتلقين بشكل مباشر لخطاب الإمام الحسين (ع) قبل أن نلقي الضوء على الأثر الذي لحق الثورة .

الذين التحقوا بالركب الحسيني كما ينقل التاريخ لم يكونوا كثرة ،بل كانوا قلة ، وكان عددهم اثنان وسبعون رجلاً ، والقلة هنا نسبية ، لأن الواقع الذي كان سائداً آنذاك واقعاً يعاني من بعده عن روح الإيمان، ومنفصل بفعل سياسة معاوية عن مناقب آل البيت (ع) ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى قد كان الظرف حرجاً وصعباً من حيث الظلم السائد والقمع الذي كان يمارسه الأمويون في حق العباد ، وخصوصاً من يخالفهم الرأي ، فعدد (اثنان وسبعون) رجلاً

لم يكن قليلاً بالنظر لتلك الظروف ، ولكن هذا لا يعني إيجاد عذر للأغلبية الذين لم يستجيبوا لدعوة الإمام (ع) .

ولقد كان أولئك الرجال يتصفون بصفات عظيمة ، فقد كان فيهم العلماء والوجهاء والمؤمنين المخلصين ، فقد كانوا صفوة نوعية من مجتمع آيل للانهيار .

أما انفعالهم فقد كان واضحاً وصارخاً ، ترجمته ردود أفعالهم أمام الدخول في معركة تسلب الأرواح ، فهذا انفعال علي الأكبر في قوله : **(إذا لا نبالي بالموت أوقعنا على الموت أو وقع الموت علينا ، وهذا العباس يقول مخاطبا الإمام الحسين [ع] : لا والله لا نفارقك يا أبا عبد الله حتى نفديك بالأرواح ونقيك بالأنفس)** .

ومسلم ابن عقيل في الكوفة في قصر ابن زياد وليس بينه وبين الموت إلا لحظات ، عندما قال له ابن زياد : كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً ، فقال له مسلم بكل ثقة : **(لا والله ما هو بالظن ولكنه اليقين)** . كما ترجم تلك الحقيقة زهير ابن القين ذلك الوجيه في قومه بعد الخطاب الحسيني الذي ألقاه في

مسيرهم ، يقول : **(قد سمعنا هداك الله يابن رسول الله مقالتك .. والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين ، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك ، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها)**.

وهنالك الكثير ممن أبدوا انفعالهم الواعي بوضوح الرؤية والإيمان بها ، ومن تلك المواقف التي ظهر فيها التأثر بوضوح ، عندما وصل كتاب الإمام الحسين (ع) لحبيب ابن مظاهر الذي جاء فيه : (فإن كنت يا حبيب تروم أن تحضى بالسعادة الأبدية فبادر إلى نصرتنا) ، فكان انفعالاً ثلاثياً ، فحبيب نهض للخروج قائلاً : (أفديه بنفسي وأهلي وولدي) ، واستشرى الانفعال إلى زوجته عندما قالت له : (يا حبيب إن لم تمض إلى نصرة الحسين لألبسن ملبوس الرجال وأمضي إلى نصرته ..) ، وتعداهما إلى العبد الذي أمره حبيب بالانتظار عند الخيل ليأتيه للخروج ، فلمّا أبطئ حبيب سمع العبد يقول للجواد : (والله لئن لم يأت صاحبك ويركبك لأعلون ظهرك وأمضي لنصرة سيدي ومولاي الحسين) . فقلما نجد تلك الإنفعلات في عمقها ووثوقيتها في هذا الزمن المحدود ، فكانت ردود فعل

صادقة عبرت عن استيعاب للرؤية واستعداد للتضحية في سبيلها ، وقد لخصها برير ابن خضير المقاتل ، بقوله : **(والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم)**.

بعد أن رأى الإمام الحسين (عليه السلام) من أصحابه هذه المواقف التي تدل على عمق الإيمان ووعي المبدأ والتمسك به في أصعب الظروف ، قال قولته المشهورة فيه : **(أما بعد فأني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً)** ، فكانت وساماً أبدياً يبين مدى انصهارهم في قيادتهم الربانية ، وقد جسّد هذا التفاعل الواعي بين القيادة والأتباع قول الله تعالى : **{قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}**[58] .

[58] / سورة يوسف ، آية ١٠٨

الفصل الرابع

نظرات نقدية في

أدوات الثقافة الحسينية

عن الإعلام الولائي

من الملاحظ أن الإعلام الإسلامي الشيعي الولائي منحسر عن الساحة الإعلامية ، وأقصد بالإعلام الشيعي هو ذاك الذي يعبر عن الرؤية الإمامية ويطرح فكر أهل البيت (ع) بكل جرأه وصراحة ، ودون استحياء من أحد.

لقد أخذ العطاء الشيعي يتنامى ولكن في اتجاه آخر هو الاندماج في المجتمعات الأخرى قلباً وقالباً ، وهذا بحد ذاته ليس مرفوضاً لمشروعيته من جهة وواقعيته من جهة أخرى ، ولكن من المؤسف أن نرى كل من تتوفر له الإمكانيات المادية لا يدّخر وسعاً في الانسياق والاتجاه نحو العطاء العام تاركا الخصوصية الفكرية لأهل البيت (ع) ، إننا نشعر بعمق غياب الاهتمام الإعلامي الذي يدعو لأهل البيت (ع) ويعبر عن رؤاهم للحياة ، ومقاماتهم وفضائلهم التي فاضت بها كتب

التاريخ الشيعية منها والسنية على حدّ سواء ، إنها تنادي هل من مفجر لها ليشرب بها عباد الله ؟ ، و أما الغلو في الاستحياء من الآخرين مما يبعد مجتمعاتنا عن أهل البيت (ع) لهو الأمر المرفوض ..

وفي هذا الصدد أود أن أنوه على نقطتين :

الأولى : علينا تجاوز مرحلة الحصار والحرب ضد الشيعة ، التي ولدت في وعينا عقدة الحصار ، فاعترافنا بأننا نعيش أزمة الحصار يعدّ نصف الحل لتجاوز تلك المرحلة ، وبالتالي علينا أن نبدأ بالانطلاقة الجديدة خصوصاً أمام هذه التحديات الجديدة لأجيالنا من الشباب ، وتجاوزها ليس مستحيلاً ، فإننا نلاحظ أن الكثير من الحركات الإسلامية الشيعية استطاعت أن تخطو خطوات مهمة في المجال السياسي أو العسكري ، ولكن ذات الحركات لم تحقق في مجال الإعلام الشيعي الذي ينشر فضائل أهل البيت (ع) ويبين ماكانتهم نصف ما حققته في المجالات الأخرى .. والحل من وجهة نظري أن نبدأ بذلك ، ولا شك فإن التوفيق الإلهي سيكون إلى جانبنا ، ولنبدأ

بطرح الأفكار على كل من له الشأن أو القرب من أي جهة تستطيع أن تعمل ولو بالشيء القليل في هذا المجال .

النقطة الثانية : نوع الخطاب ، لقد قصدت فيما ذكرت أن نخرج من حالة الاستحياء من العالم الخارجي ، لا شك أن الدنيا خلعت ثوبها القديم ولبست ثوباً عولمياً إن صح التعبير ، ولكن ذلك لا ينبغي أن يحيدنا عن العطاء باستخدام ألآت العولمة لبث المضمون النوعي لفكر أهل البيت (ع) ..

نوع الخطاب الذي أقصد هو بث الثقافة الولائية لآل البيت (ع) وهي التي تتحدّث عن حقيقة الرسول وأهل بيته ومكانتهم التكوينية والتشريعية ، والالتصاق بالأوراد والمأثورات عنهم (عليهم السلام) في جميع مناحي حياتنا ولكافة فئاتنا العمرية ، ابتداء بالطفل الرضيع وانتهاء بدفنه ميتاً ، والحديث عن فكرهم عليهم السلام ورؤاهم لمشاكل العالم ، وأن لا نتجاوز أقوالهم في حالات الإشغالات المعرفية الراقية ، والتسلّح بهذا النوع من الثقافة له أثر كبير لا يستهان به ، فهو حصن منيع ضد الغزو الثقافي والمؤثرات

الخارجية المختلفة ، ودافع قوي نحو العمل والنجاح ، إضافة إلى مباركة الله تعالى وتوفيقه.

وهذه بعض الأحاديث التي تقرّب مفهوم الثقافة الولائية :

قال رسول الله [ص] : ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال : فأني سائلكم عن اثنين عن القرآن وأهل بيتي.

وقال [ص] : اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس ولا تهتدي إلا بالعينين .

وقال [ص] : حب آل محمد يوماً واحداً خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة.

المسألة الحسينية

إن القضية الحسينية والإمام الحسين (ع) بما يحمل من رمزية وثقلاً قيمياً هائلاً ، هو موقع قوة ونقطة مضيئة في تاريخنا ، وثورته هي الثورة الأنصع التي قدمت تضحيات للدفاع عن الحق ولإصلاح الإنسان ، وبالتالي فهي قوة جاذبة في الإعلام الولائي ، وفي نظرة عابرة لتصريحات غير

المسلمين من المفكرين والباحثين ، نجد مدى قدرة قضية الإمام الحسين (ع) على الجذب والإعجاب.

تقول الكاتبة الإنجليزية فريا ستارك : "لأن مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل إلى الأسس وهي من القصص القليلة التي لا أستطيع قراءتها قط من دون أن ينتابني البكاء".

ويقول الباحث الإنجليزي جون أشر في كتابه (رحلة إلى العراق) : "إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي..".

وفي كلمة معبرة يقول الكاتب الانجليزي توماس لايل في كتابه دخائر العراق) : "ولم يكن هناك أي نوع من الوحشية أو الهمجية، ولم ينعدم الضبط بين الناس فشعرت في تلك اللحظة وخلال مواكب العزاء ومازلت أشعر بأنني توجهت في تلك اللحظة إلى جميع ما هو حسن وممتلئ بالحيوية في الإسلام، وأيقنت بأن الورع الكامن في أولئك الناس والحماسة المتدفقة منهم، بوسعهما أن يهزا العالم هزاً

فيما لو وجها توجيهاً صالحاً وانتهجا السبل القويمة ولا غرو فلهؤلاء الناس واقعية فطرية في شؤون الدين..".

فينبغي أن تكون قضية حاضرة في شعورنا ، لكي ننشرها في العالم كله ، ليعيش كربلاء ويعيش ثورة الإمام الحسين (ع).

الطموح الإعلامي

إننا نجد أنفسنا نفكر ببساطة عندما يكون مبلغ مطلبنا وأمنياتنا أن نستخدم التقنيات الجديدة كخدمة إعلامية لمبادئ كربلاء وقيمها ، فنرضى عن أنفسنا إذا استخدمنا النقل المباشر عبر شبكة الإنترنت بالشكل المحدود أو عندما تتبنّى قناة أرضية ساعة من الزمن التغطية الإعلامية لفعاليات عاشوراء ، أو عندما تخصص إحدى الصحف صفحة واحدة لتكتب عن الإمام الحسين وثورته.

لعل ما أودى بنا إلى أن نستأنس بهذا القدر من استخدام الإعلام الحديث لقضية عاشوراء هو الحال الذي عليه أغلب أتباع أهل البيت (عليهم السلام) من اضطهاد وسلب للحقوق ، لكن ليس ذلك كافياً كمبرر ولا يمكن أن يكون

مسكّناً لهواجس إلا فاقدي الطموح ، بينما ينبغي أن نطير بطموحنا إلى أفق رحيب جداً، كما يطير الطائر بجناحيه.

ولابد أن نتهم أنفسنا أيضاً ولا نوقع اللوم بكامل ثقله على الظروف المحيطة ، علينا أن نوجّه النقد لهممنا ، لطريقة تفكيرنا ، لتفككنا الذي يلقي بظلاله على كافة مشاريعنا ، ومنها الكربلائية .

ولكي نتخطّى تلك البساطة ، علينا أن نفكّر بطريقة تناسب متطلبات الواقع في السياسة الإعلامية لقضية الإمام الحسين (عليه السلام) ، فإن في القضية الحسينية امتياز ذاتي وبعد إلهي ، ذلك الامتياز هو عمق القضية و أصالتها و حقانيتها و مبدئيتها ويميزها لون قيمها ، والبعد الإلهي هو أنها قضية عالمية ليست لفئة معينة بل جاءت للإنسان و لرفع كرامته وتمكين سيادة الحق في الأرض من خلال جهود الإنسان ونشاطاته. فلابد أن يكون الطموح بقدر القضية التي نحملها من جهة ، وبقدر التحديات التي يفرضها الواقع من جهة أخرى.

إننا نجد تلك القضايا التي ترتبط بمصالح دولة خاصة أو بمصالح مصنع من المصانع أو بمتجر ما ، كيف يخطط أصحابها لها ، لكي تغزوا العالم بأسره من خلال الإعلام بكافة وسائله ، وذلك ليس لأن الوسائل الإعلامية متوفرة فحسب ، وإنما بسبب السياسة الإعلامية الطموحة التي تريد أن تدخل خبراً معينا أو فكرة أو سلعة ما ، إلى كل بيت ، فتنطلق تلك الدمية من أمريكا لتنتشر لدى أطفال كل العالم بما فيهم أطفال المسلمين ، فمن منا لم يعرف (وال ديزني) مثلاً ؟ ، فإن لم يتعامل معها ، فإنه قد سمع بها .. وأمثال هذه كثيرة جداً ..

فقضية الإمام الحسين (ع) تحتاج منّا أن نفكّر في نشرها عالمياً عبر خطط بهذا المستوى ، و لا أعتقد أن هناك أحداً سيصغي لقضية كربلاء لن يداخله التأثر والإعجاب بمبادئها وقيمها التي خطتها وتريد أن تخطها في الوجود الإنساني ككل ، فضلاً عن الاقتناع والإتباع.

فلا يكفي أن نصل إلى وسائل الإعلام بالقضية الحسينية ، وإنما لابد أن نوصلها لكافة الناس ، لأن الإعلام

وسيلة لتكون بين أيدي الناس ، فأعداد الصحف والمجلات لا حصر لها ، فكيف نرضى بصفحة واحدة في صحيفة محدودة التداول؟ .. والقنوات القضائية تغزوا الفضاء والأرض ، فكيف نقنع ببث ساعة هنا وساعة هناك على قناة أرضية محدودة المشاهدة؟ وكيف نرضى عن بث مباشر على شبكة الإنترنت لا يتحمل إلا عدد محدود في المشاهدة ؟ والإنترنت شبكة عالمية عنكبوتية ، تنشر خيوطها في مساحة واسعة من المستخدمين.

فعندما ندرس السياسة الإعلامية التي اتبعتها السيدة زينب (عليها السلام) لإيصال أحداث كربلاء ورسالتها في الناس ، وهي امرأة وحيدة في زمن لا تتوفر فيه أي وسيلة إعلامية ، فمبلغ الفرد إيصال مقدار صدى صوته للناس ، ولكنها تغلبت على ظروف تلك الحياة وأوصلت رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) لكل بقعة حطّت بها عبر مسيرة السبي ، ووضعت في كل بقعة علامة تدل على ذلك ، فسواء في العراق الذي أبلغت أسواقه ، أو القصر الذي جلجلت فيه بصوتها الشجاع، أو القرى والمدن التي مروا بها مثل حلب

في سوريا والمدينة المنورة ، بل ووصلت إلى مصر ، فكان لها أنصار وكان لها متعاطفون.

إذاً الخطوة التالية في التفكير في إعلاميات القضية الحسينية هي أن نوصلها إلى الناس كافة ولو سماعاً .. فهي بداية لتأخذ مداها العالمي في التأثير ،كما أراد لها الله عز وجل والإمام الحسين (عليه السلام) أن تكون هداية وتحرر للبشرية جمعاء.

مأسسة الحسينيات

لم يكن اصطلاح (المؤسسة) في أوائل القرن العشرين من قبل علماء الاجتماع الغربيين إلا وعياً للدور الفاعل الذي من الممكن أن ينجزه هذا الشكل التنظيمي في البناء المجتمعي، وقد كان هذا التوجه بفعل تلمس الحاجة للعاملين لسمة الديمومة في المشاريع التي كانت تمتلك المنطلقات والأهداف وتنقصها الآليات السليمة والفاعلة والدائمة، فكانت فكرة (المؤسسة) سدّاً لذلك النقص والفراغ.

ومن قبل وجهنا الإسلام للتفاعل مع العمل الجماعي، حيث يكون محط بركة الله كما يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (يد الله مع الجماعة)، ودعوة للتعاضد كما في الآية الكريمة : **{وتعاونوا على البر والتقوى}**، وتوجيهاً نحو التنظيم ، كما جاء في وصية الإمام علي (ع) : **(الله الله**

في نظم أمركم)، وفي نظرة رابطة و تنظيمية لهذه المفاهيم تتبلور في أذهاننا فكرة (المؤسسة) في نظر الإسلام.

وتأسيساً على ما سبق فإن من الأهمية بمكان العمل على تطوير مهام (الحسينية) لتدرج ضمن المؤسسات التي يحتاجها العمل المجتمعي، ويلح في طلبها خصوصاً في الوقت الراهن، وتتدرج الحسينسة في تصنيف علم الاجتماع المعاصر تحت (المؤسسات الثقافية) التي تتناول القضايا الثقافية والدينية والفنية والتراث.. إذاً فـ (الحسينية) تتطابق مع مفهوم المؤسسة في هذا الجانب من عدّة وجوه :

الأول: طبيعة التكوين ، العمل الجماعي، وتوزيع الأدوار والمهام.

الثاني: طبيعة الدور، حيث تعمل على تنمية المجتمع دينياً وثقافياً.

الثالث: طبيعة الارتباط العقيدي والروحي، حيث أن هذا الأخير يساهم في تفعيل دور المؤسسة ويحافظ على ديمومتها

من وجه، ويتفاعل المجتمع معها ويتقبّل توجيهها من وجه آخر، وذلك لشرعيتها عقدياً، وارتباط المجتمع بها روحياً، و هذه هي السمة الحضارية التي تفتقدها سائر المؤسسات في المجتمع المدني ، والتي تعطيها بعداً إضافياً تدفع باتجاه الديمومة والمواصلة ، آملين أن تكون الحسينيات في عصر المواجهة الحضارية والفكرية مناراً تضيء للناس دروبهم ، خصوصاً أن المواسم التي تحيى في الحسينيات كثيرة ، والمنابر أكثر من تلك الحسينيات ، لأن لكل حسينية فترتان أو ثلاث فترات يصعد فيها الخطيب موجهاً ومعالجاً ، فهي ثروة نحسد عليها ، فما علينا إلا استثمارها لحاجياتنا الحضارية لنتمكن من التأثير في المجتمع ، بهذا تكون الحسينية بالفعل مؤسسة ثقافية عصرية فاعلة.

حول المنبر الحسيني*

س١ : ما هو التقييم الواقعي حول المنبر الحسيني في البحرين من حيث التعاطي مع الواقع المجتمعي؟

ج : عندما نلقي نظرة تقيمية لواقع المنبر الحسيني الذي يكثّف جهوده على مدى عشرة أيام وفي ثلاثة أوقات من اليوم ، فإن ذلك التقييم سيختلف من واقع لآخر ففي بعض المناطق يمكننا أن نعطي ذلك الدور درجة الامتياز ، خصوصاً في أداء بعض الخطباء المتميزين

وعندما ننظر للمنبر الحسيني في البحرين فإننا لابد أن ننظر لعدة جهات لكي يكون التقييم دقيقاً ومنصفاً ، تلك الجهات تنطلق من الدور المفترض للمنبر والذي يمكن أن يؤديه من

* أجرى الحوار: آسيا أحمد / لجريدة الأيام / العدد ٥١١٤/ محرم ١٤٢٤هـ

رسالة على المستوى المجتمعي ، وتلك الرسالة مرتبطة بشكل مباشر بالقضية الحسينية .

من تلك الأدوار هو جعل الوجدان الشعبي مرتبطاً ومتفاعلاً مع القضية الحسينية في جانب المأساة ، هذا الدور الذي يجعل حرارة القضية بكل قيمها مشتعلة ، لتمهد للارتباطات الأخرى كمدخل لأبعادها المختلفة ، كما أن لهذا الجانب الثواب الكبير للفرد نفسه ، حيث أنه يواسي أصحاب المأساة في كل عام وهم الرسول الأعظم (ص) وأهل بيته وقد ورد في الروايات المأثورة عن أهل البيت (ع) أن للبكاء على الإمام الحسين الثواب الكبير .

التقييم في جانب المأساة نراه يصل إلى مستوى الامتياز ، حيث أن الأدوات التي يتطلبها لا تحتاج إلى كثير جهد ، سوى بعض المؤثرات الفنية والتصوير الأدبي .

أما إذا نظرنا لرسالة المنبر الحسيني في جانبه التوعوي والتثقيفي بالقضية الحسينية وبأهدافها وبمنطلقاتها التي تشكل الإسلام في عمقه ، فهذا الدور متراجع ، لأننا لا نلاحظ بحوثاً

جديدة تقدّم في هذا الجانب ، إلا في حالات نادرة ، وتزداد الموضوعات ندرة فيما يمكن أن يؤديه المنبر من دور على مستوى الواقع ، وبالمتغيرات الخارجية التي تمر على المجتمع .

هذا الجانب لا شك أنه متراجع ولعل أهم سبب هو أن هذا الدور يحتاج من الخطيب إلى قدرة ثقافية تستوعب الحاجة ، وتتماشى مع المستوى المعرفي للمجتمع ، ليتمكن من إضافة مادة جديدة ومتناسبة .

والمنبر الحسيني يعتبر ثروة هائلة وأمانة على الخطباء أن يتحملوها ويستفيدوا منها بأكبر قدر ممكن .

س٢: ما هي الرؤية التي تطوّر أساليب المنبر الحسيني ليكون أكثر قدرة على التعايش مع معطيات التطوّر التقني من حيث إدخال الفيديو والكمبيوتر..؟

ج٢ : بخصوص علاقة المنبر الحسيني بالتطوّر التقني يمكن أن نتصوّرها في حدود النقل ، لتصل المادة الملقاة إلى أبعد

مدى ممكن ، وهذا حاصل في كثير الحسينيات حيث تنقل بشكل مباشر المحاضرات على الإنترنت .. إلا أننا يمكن أن نتصوّر دوراً أكبر من ذلك لبرامج الحسينيات وهي المفهوم الأوسع من المنبر الحسيني الذي ينحصر في أداء الخطيب ، أما الحسينيات فإنها مؤسسة تقوم بعدّة فعاليات خلال موسم عاشوراء ، هنا يمكن أن تدخل التقنية لتعبّر عن القضية الحسينية بأشكال مختلفة ، على هيئة برامج كمبيوترية ، والأداء التمثيلي والمسرحي ، وهذا بدأ به البعض ، ونأمل أن يأخذ مداه في النمو .

س٣:ما هو مدى الربط بين القضية الحسينية والواقع السياسي والاجتماعي المعاس؟

ج٣: لاشك أن انطلاق القضية الحسينية كان لإصلاح واقع فاسد كان قائماً ، وهي لم تحصر نفسها في فترة تاريخية محدودة ، لتكون كأي واقعة من وقائع التاريخ ، بل إنما ما تمتاز به القضية الحسينية أنها انطلقت لإصلاح الواقع على

مدى كافة العصور ، باعتبار من قام بها هو إمام معصوم وتحركه يمثّل منهجاً متكاملاً للأجيال التي تقتدي به

من هذه العقيدة فإن الواقع المجتمعي الذي يوالي الإمام الحسين (عليه السلام) يرتبط في جميع تحركاته الحياتية والمطلبية والسياسية والاجتماعية بهذه القضية ، ويستمد منها مفاهيمه للتحرّك نحو حقوقه مثلاً ، ويستمد منها ضرورة البحث عن العدالة والسعي لتحقيقها ، ويرفض كافة أشكال الظلم والتمييز ، هذا ما قام من أجله الإمام الحسين (ع) ، وهذا ما يحاول أن يطبّقه موالو الإمام (ع) في حياتهم فمن الطبيعي أن تؤثّر هذه القضية المباركة وتكون دافعاً ومنطلقاً للحركة المجتمعية التي تعيش الولاء للحسين (ع) .

حول المجالس النسائية*

يرى البعض أن المجلس الحسيني النسائي متخلف نسبياً، لكونه مغرق في العاطفة بعيد عن التعقل، زاهد في استخدام الفنون والوسائل الحديثة.. فما هو رأيكم؟

قد لا يكون التوصيف بأن المجالس الحسينية النسائية بعيدة عن التعقل دقيقاً لكونها مغرقة بالبعد العاطفي، فليس العاطفة ضد التعقل بشك لمطلق، بل قد تكون نتيجة من نتائج العقل، كما هو الحال في تعزية أبي عبد الله الحسين، فالحزن والبكاء مطلوبان عقلاً، لكونها يمثلان المواساة لأهل البيت، ولكونها يوجبان الأجر والثواب الكبير كما في الروايات عن أهل البيت (ع).. ولعل التعبير الأدق هو أن نقر بأن للمجالس الحسينية بعدان، العاطفي، والموضوعي

* أسئلة لنشرة الحسين (ع) الصادرة عن جمعية أهل البيت (ع)، قدمها علي الصباغ.

الذي يمثل جانب المعرفة والإقتداء ، و في المجالس النسائية نجد التركيز كبير على الجانب العاطفي ، وهنالك إغفال وتهاون للجانب الموضوعي والمعرفي والذي ينبغي الالتفات إليه ، خصوصاً أن فئة الفتيات يحتجن إلى التوجيه في غمرة التأثيرات الغربية والعمل على توجيه عقلياتهن في اتجاه اتهام الدين و الانبهار بالواقع الغربي ، فالحاجة أصبحت ماسة للاهتمام الموضوعي والمعرفي في المجالس الحسينية النسائية.

وبخصوص توظيف الأعمال الفنية والتقنية الحديثة ، نأمل كذلك أن يكون التوجه لها جاداً لكونها تؤدّي الهدف بشكل مؤثر ليخدم الثقافة الحسينية.

السؤال الثاني

ما هي الأفكار والآراء والرؤى لتطوير المنبر الحسيني النسائي؟

لقد لاقت المجالس النسائية في الآونة الأخيرة تطوراً ملحوظاً في جانب الاهتمام بالجانب الموضوعي والتوجيهي ،

إلا أن ذلك لم يف بالمطلوب ، نظراً لكثرة المجالس التي تحيى فيها ذكرى عاشوراء ، كما أن هنالك شح في عدد القادرات على العطاء في هذا الجانب نسبة لمتطلبات الواقع ، لذا فالاقتراحات التي يمكن أن نذكرها في هذا الصدد ، هو الاهتمام بإعداد كوادر علمية نسائية ، والاهتمام بتعليم الخطابة وفنونها لجيل الشابات ، كذلك ينبغي أن تشيع الحسينيات الخاصة بالنساء ذات البناء المستقل ، فالكثير من الجالس تعقد في بيوت خاصة مما يقلل فرص التعاطي الإداري ، والتفاعل العملي من جانب الأخريات .

وينبغي على الجميع وعلى رأسهم العلماء أن يعززوا هذا التوجه ، لتستمر إحياء المناسبة بصورتها الكاملة على المستوى الرجالي والنسائي في خط متواز ، ونسأل الله العلي القدير التوفيق لذلك إنه سميع مجيب.

الفهرس

المقدمة	٥
الفصل الأول: مدخل نظري: المعرفة الولائية الحسينية من الشتات إلى المنهجة.	٩
تمهيد وتوطئة	١١
توصيف وتقييم	١٥
هواجس ومخاوف	١٧
معالجة وتقويم	٢١
معان وآفاق	٢٣
الفصل الثاني: في سبيل ثقافة ولائية	٢٧
معرفة الولاية	٢٩
بصائر الغيب	٣٤
التقوى وعاء الولاية	٣٨
التبري وجلاء الولاية	٤٢
تحديات المستهزئين	٤٧
الإمام الحسين ووعي الإنتماء	٥١
باب الجنة	٥٢
معدن الرسالة	٥٣

وارث الأنبياء والرسل ٥٤

مصباح الهدى وسفينة النجاة ٥٤

الفصل الثالث: رؤية تاريخية: انفعالات الثقافة في المسيرة الحسينية ٥٧

الثورة الثقافية ٥٩

الإمام الحسين في ساحة الثقافة ٦٣

رعاية المسيرة ثقافيا ٧١

المرجعية الفكرية في الخطاب الحسيني ٧٥

انفعال الثقافة .. تأثر الأصحاب مثالا ٨٠

الفصل الرابع : نظرات نقدية في أدوات الثقافة الحسينية ٨٥

عن الإعلام الولائي ٨٧

المسألة الحسينية ٩٠

الطموح الإعلامي ٩٢

مأسسة الحسينيات ٩٧

حول المنبر الحسيني ١٠٠

حول المجالس النسائية ١٠٥

صدر للمؤلف :

١/ على منابر من نور.
٢/ منهج الثقافة الإسلامية .
٣/ لقاء ثقافي في ريف دمشق [حوار مع المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي].
٤/ معالم العظمة [دراسة احصائية في مؤلفات الإمام الشيرازي].
٥/ الإمام المهدي الغيب الشاهد.
٦/ آفاق من حركة الرسول الأعظم [تأليف مشترك].
٧/ العولمة والمجتمع التحديات الجديدة وبرنامج المهام.
٨/ فن الاعتذار وقبول العذر.
٩/ الثقافة الحسينية.
١٠/ الحب في العلاقات الزوجية [تحت الطبع].
١١/ الشيخ عزيز البحراني حقيقة ناصعة ورمز مبارك. [مخطوط].
١٢/ المرأة المباركة [قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي [ع]]. مخطوط.

www.mosawi.org
mahmood@mosawi.org

البحرين